

طريق الإسلام في

دراسات في التراث المعماري والفني



الشيخ صالح أبو الخير



طَائِفَةُ الْمُسْلِمِينَ

طريق إلى النجوم

دراسات في التراث المعماري والفني

الدكتور / صلاح أحم البهنسي



جميع الحقوق محفوظة للناس
الطبعة الأولى

٢٠٠٤-١٤٢٤ هـ

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١٦٤



| | |
|-----------------|---------------------------|
| ٢٠٠٢/١٩١٦٥ | رقم الايداع |
| 977-344 - 079-6 | الترقيم الدولي I.S.B.N |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا» .

صدق الله العظيم

إهداء:

إلى على ويمنى

رزقهما الله حلماً وعلماً..

مقدمة

«... إن هذه المدينة هي أكبر مما كنت أتصور، ورغم أن الذين يشيدون بها يتحدثون عنها حديثاً طيباً، ولكنى أرى أنهم لم يقولوا إلا نصف الحقيقة، وبين المدن الكثيرة التى رأيتها فى العالم لم أجد مدينة تضاهيها فى تحصيناتها أو نظافتها حتى لتبدو مدينة إمبراطور أكثر منها مدينة لا تنتمى إلى ملك خاص...»

ورد هذا ضمن الرسالة التى أرسلها «بيترو دى نافارا *Pietre Di Navarra*» قائد الأسطول الأسباني إلى نائب الملك فى صقلية، وذلك بعد أربعة أيام من نجاحه فى الإستيلاء على طرابلس سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م.

وطرابلس مدينة عريقة التاريخ، وواحدة من مراكز الحضارة فى مختلف العصور، كما كان لموقعها على ساحل البحر المتوسط فى مقابل السواحل الأوربية، وتحكمها فى طرق التجارة بين أوروبا والدول الأفريقية، أكبر الأثر فى جعلها مركزاً سياسياً وإقتصادياً هاماً، كما كانت مطمعاً دائماً للقوى الأجنبية التى سعت للإستيلاء عليها، وتمكنت من ذلك فى بعض الفترات، مثل إستيلاء النورمان عليها سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م، والجنويون سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م والأسبان سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م، إلى أن تنازلوا عنها سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م لفرسان مالطة (فرسان القديس يوحنا)، حتى تمكن العثمانيون التغلب عليهم وفتح طرابلس سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م، لتبدأ طرابلس مرحلة جديدة من تاريخها، وأصبحت قاعدة لإنطلاق الأساطيل العثمانية نحو الشمال.

وإن كان لمثل هذه الظروف من الصراع أثارها على التراث الحضارى، حيث خلقت ظروف الصراع المستمر تحديات مضادة للبواعث والإتجاهات العمرانية، لما

يترتب عنها من إلحاق الضرر بالعديد من العماثر الدينية والمدنية أو تهدمها، كما أنه يوجب على الحكام والأهالي الإهتمام فى المقام الأول بتحسين المدينة والإهتمام بشكل أساسى بالعماثر الحربية من الأسوار والأبراج والقلاع، إلا أن الرغبة فى التشييد وإعادة البناء كانت دائماً السمة المميزة لأهالى طرابلس.

ومن ذلك فقد وصلتنا أعداد كبيرة من العماثر المتنوعة (دينية - مدنية - حربية) ترجع إلى عصور تاريخية مختلفة، وتعد إنعكاساً لمختلف الظروف الدينية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية التى عايشتها طرابلس فى فترات إنشاء هذه العماثر.

أما عن إسم مدينة طرابلس فإنه مشتق من الكلمة اليونانية Tre - polis وتعنى المدن الثلاث، حيث كان بالقسم الغربى من ليبيا خلال العصر اليونانى ثلاث مدن هامة، وهى لبة العظمى Leptis Magna وصبراتة أو صبراتن Sabraton وأوئيا Oea. وقد أورد ابن خرداذبة فى كتابه «المسالك والممالك» والحموى فى كتابه «معجم البلدان» هنا التعريف لطرابلس فقال الأول أنها تعنى «ثلاث مدائن»، أما الثانى فقد ذكر أنها تعنى «المدن الثلاث».

وفى الفترة المبكرة من العصر الإسلامى أطلق عليها العرب إسم «إطرابلس»، فقد أرسل عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رسالة جاء فيها «إن قد بلغنا إطرابلس، وبينها وبين إقريقية تسعة أيام». وظلت تكتب هكذا «إطرابلس» فى كتابات الرحالة والمؤرخين حتى النصف الأول من القرن ١١هـ / ١١م، فيذكر «المقدسى» فى «أحسن التقاسم» «إطرابلس مدينة كبيرة على البحر...». وفى أواخر القرن ١١هـ / ١١م صارت تكتب «طرابلس» فعند حديث «البكرى» عنها، قال «وعلى مدينة طرابلس سور ضخيم جليل البنيان وأسواق حافلة جامعة».

وفى العصر العثمانى أضيف إلى إسم طرابلس كلمة الغرب، فأصبحت تعرف بـ «طرابلس الغرب» فميزك لها عن طرابلس الشام. وقد وردت بهذه الصيغة على مختلف الآثار الثابتة والمنقولة التى ترجع إلى فترات الوجود العثمانى فى طرابلس.

ومن الصفات التى إقترنت باسم طرابلس فى كتابات الرحالة بياض لون مبانها، حيث وصفت بالمدينة البيضاء، وكان ذلك شائعاً عنها، فعندما زارها التجانى (١٧٠٦هـ / ١٣٠٦م حتى ١٧٠٨هـ / ١٣٠٨م) كان يعرف عنها هذه الصفة وتؤكد منها، حيث أورد فى رحلته «ولما ترجعنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يغشى الأبصار، فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء». ويبدو أن هذه الصفة ظلت تقترن بالمدينة فترة طويلة، فعندما زارها الوزير المغربى «الإسحاقى» سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣١م، ذكر «تراءت لنا قصورة لها وميض، وقد صدق أهلها فى تسميتهم لها بالمدينة البيضاء». ومازالت طرابلس تحتفظ بهذه الصفة حتى اليوم.

وقد أفاض الرحالة فى الثناء على نمط التخطيط العمرانى لمدينة طرابلس، فقد ذكر التجانى «لم أر أكثر من شوارعها نظافة ولا أحسن إتساعاً وإستقامة، لأنها تخترق المدينة طولاً وعرضاً على هيئة شطرنجية». كما وصفها الرحالة الأوربى «مارمول» بأنها «مدينة منسعة التعمير تفوق مدينة تونس بهجة ورونقاً». ويتفق كل من الناصرى والعباشى والحشاشى بأن المدينة «أنيقة البناء، فسيحة الفناء، عالية الأسوار، متناسبة الأدوار واسعة طروقها، سهل طروقها».

أما عن أهل طرابلس فقد إقنت آراء معظم من تعاملوا معهم بأنهم أحسن خلق الله معاشرة، وأجودهم معاملة، وأبرهم بغير.

وعلى الرغم مما تحفل به مدينة طرابلس من مفردات تراثية متنوعة تشكل منظومة معمارية متناغمة، وتعد قراءة حية لمختلف الظروف التى واجهت أهالى طرابلس فى مختلف العصور، إلا أن هذا التراث لم ينل بعد ما يستحقه من الدراسة، حيث إقتصرت الدراسات القليلة التى صدرت فى هذا المجال على دراسة العمارة الدينية فى مختلف العصور، فى حين إقتصرت دراسة العمارة المدنية والحربية على بعض المقالات فى عدد من الدوريات. وهى دراسات وإن كانت قد سلطت الضوء على بعض هذه العمائر من حيث تاريخ إنشائها، والدور

الذى كانت تؤديه، إلا أنها لم تتناول الطراز الخاص بكل منها، والوحدات والعناصر المعمارية التى تميز كل نمط من هذه العماائر مثل الفنادق والأسواق والمتار والمامات والقضليات، والقلاع والأسوار والأبراج.

وهذا الكتاب إطلالة تاريخية نتعرف من خلالها على أهم الأحداث التاريخية التى عاشتها المدينة، والدور الذى لعبته فى تاريخ ليبيا، والمنطقة بشكل عام، منذ تأسيس المدينة وحتى الإحتلال الإيطالى لها سنة ١٩١١م. كما أنه جولة آثارية فى أرجاء المدينة نتوقف فيها عند بعض العماائر (الدينية - المدنية - الحربية) ونتعرف على تاريخها وطرازها المعمارى، وأهم مكوناتها، ومقارنتها بما يماثلها فى بلاد العالم الإسلامى، لنخلص من ذلك إلى أهم الخصائص التى تميز الطرز المعمارية فى طرابلس فى مختلف العصور، ومعرفة مظاهر التأثير فيها، سواء تلك التى إنحدرت إليها من طرز معمارية إسلامية أو أوربية. ولأن متاحف المدينة تشكل مظهرًا حضاريًا، ومرآة لما كانت عليه الفنون فى مختلف العصور، فقد وجدنا أنه من الضرورة بمكان أن تشمل جولتنا متحفى المدينة، وهما المتحف الجماهيرى والمتحف الإسلامى.

والله نسال أن يوفقنا لما قصدنا، وعلى الله قصد السبيل.

د. صلاح البهنسى

الأهرام - ١ / ٨ / ٢٠٠٣م

طرابلس من الفرو الفينقي إلى الإحتلال الإيطالي

منذ الألف الأولى قبل الميلاد أدرك الفينيقيون أهمية وجود مراكز تجارية لهم على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، فقاموا في القرن السادس قبل الميلاد بتأسيس مدينة «أوثيا أو أويات» في المكان الذي تشغله مدينة طرابلس الحالية^(١). وعلى الرغم من الإرتباط بين الفينقيين وبين تأسيس المدينة إلا أن الأبحاث الحديثة أثبتت وجود مدينة أو مركز تجارى في نفس المكان قبل هذا العصر بفترة طويلة^(٢). ومنذ تأسيس المدينة فقد تعرضت إلى العديد من الأحداث السياسية؛ ففي القرن الثاني قبل الميلاد دخلت طرابلس تحت حكم دولة نوميديا، وفي سنة ١٤٦ ق.م وقعت ضمن مدن الشمال الأفريقي تحت السيادة الرومانية. وظلت المدينة تلعب دوراً هاماً ومؤثراً في الأحداث السياسية والدينية في المنطقة حيث أصبحت في القرن الثالث الميلادي مركزاً من أهم مراكز الديانة المسيحية، وصارت في القرن الرابع الميلادي عاصمة للمنطقة بكاملها^(٣)، وذلك بعد أن إنتسمت الدولة الرومانية بعد وفاة ثيودوسيوس إلى دولة رومانية شرقية وأخرى غربية. وكانت طرابلس تابعة للدولة الرومانية الغربية. إلا أن تبعية المدينة للرومان لا تلبث أن إنهارت وذلك عندما إنحدت القبائل الليبية مع الوندال في سنة

(1) Haynes (D.E.L); An Arshaeological and Historical guide to pre Islamic Antiqui of Tripolitania. 4th edition Tripoli. 1981. P.25.

وكلمة طرابلس مأخوذة من اليونانية Tripolis وتعني ثلاث المدن وهي لجة العظمى وصبراته ولويك Murabet

(M); Some Facts about Libya - Malta - 1961 - P. 122.

(٢) خليفة محمد التليسي: حكاية مدينة. طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب. الطبعة الثانية. الدار العربية للكتاب - ليبيا وتونس - ١٩٨٥ - ص ٧.

(٣) الطاهر أحمد الزلوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا - القاهرة - ١٩٥٤ - ص ٣٤.

٤٥٥م وقاموا بمهاجمة المدن الرومانية فى ليبيا، ومنها طرابلس، وتمكنوا بالفعل من الإستيلاء عليها.

لكن الوفاق بين الليبيين والوندال لم يدم طويلاً، بل دب خلاف بينهم، واستغل ذلك البيزنطيون. وتمكنوا من القضاء على نفوذ الوندال فى شمال أفريقيا، بينما لجأوا إلى مهادنة وخداع الليبيين، فقاموا بدعوة ثمانين من زعماء القبائل إلى حفل عشاء فى لبدّة حيث قتلوهم جميعاً إلا واحداً تمكن من الهرب، ونقل الخبر إلى أفراد القبائل الذين كانوا مجتمعين خارج أسوار مدينة لبدّة.

أما فى العصر الإسلامى، فإنه بعد أن تم لعمر بن العاص فتح مصر سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، فقد إتجه بناظره نحو الغرب، وفكر فى فتح طرابلس، التى كانت تشكل عقبة كبيرة، وذلك لأنها كانت مدينة حصينة يحيط بها سور منيع من الشرق والغرب والجنوب، مما جعل حصار المسلمين لها يستمر شهراً كاملاً دون أن يقدروا منها على شىء. وبعد أن فتحت سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م ولايلث أهلها أن نقضوا عهدهم لعمر بن العاص، وذلك بعد مقتل عمر بن الخطاب فى ذى الحجة سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م، وانقطعت صلة العرب بالمدينة إلى أن تم فتحها مرة ثانية سنة ٢٧هـ/ ٦٤٧م بجيش بقيادة عبد الله بن سعد^(١). وهو الجيش الذى عرف بـ «جيش العبادلة».

ومنذ أن فتح المسلمون طرابلس كانت بمثابة جسر يصل بين بلاد الشرق والغرب الإسلامى، كما كانت رباطاً من أربطة المسلمين لمواجهة أطماع القوى المسيحية التى كانت تسعى دوماً للإستيلاء عليها لما تتمتع به من موقع جغرافى متميز على الشاطئ الجنوبى للبحر المتوسط فى مقابل السواحل الأوروبية، كما أنها تتحكم فى طرق التجارة مع بلاد السودان وغيرها من بلاد أفريقيا؛ وكذلك مع دول وجزر البحر المتوسط. وقد أكسبها هذا الموقع أهمية تجارية منذ أقدم العصور؛ واستمر ذلك خلال العصر الإسلامى، فقد ذكر ابن حوقل «أن المراكب

(١) الطاهى - أحمد انزاوى: المراجع الدين - ص ٤٩.

تخط بطرابلس ليلاً ونهاراً، وترد بالتجارة على مر الأوقات من بلاد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم^(١). كما ذكر البكري أن بها أسواق حافلة جامعة^(٢).

ويبدو أن طرابلس ظلت تحتفظ بهذه الأهمية خلال العصور التالية، فقد ذكر الرحالة الهولندي مارمول الذي زارها في أوائل القرن ١٦م أنها كانت أهم قبلة يتوجه إليها التجار القادمون من مالطة والبندقية وصقلية^(٣).

وقد جعلها هذا الموقع مطعماً للقوى الأجنبية، لذلك فقد حرص المسلمون على تحصينها ففي سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م استكمل هرثة بن أعين الجانب الشمالي من السور، والذي كان قد بناه الإمبراطور الروماني سبتيموس سيفيروس من الشرق والغرب والجنوب^(٤). وفي عصر الأغالية (١٨٤ - ٢٩٦هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩م) الذين كان ملكهم يشمل أفريقية (تونس) والجزء الغربي من ليبيا، والجزء الشرقي من الجزائر، كانت المحارس والمراقب والرباطات والقلاع تنتشر على الشواطئ^(٥). وقد أثنى الرحالة الذين زاروا المدينة على سورها الجليل البنيان ومحارسها، ومن ذلك ما ذكره المراكشي (النصف الثاني من القرن ٧هـ / ١٣م)

(١) ابن حوقل (أبو القاسم محمد)؛ المسالك والممالك (صورة الأرض) طبعة لندن - ١٩٣٨ - ص ٧٢.
(٢) البكري (أبو عبيد الله)؛ المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (المسالك والممالك). الجزائر - ١٨٥٧ - ص ٧.

(٣) مارمول (كزينجال)؛ أفريقيا - ج ٣ - ترجمة محمد حجي، محمد زبير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق - الرباط - ١٩٨٨ - ١٩٨٩ - ص ١٢١.

(٤) الطاهر أحمد الزاوي؛ المرجع السابق - ص ٣٥.
المقصود هنا الإمبراطور الروماني سبتيموس سيفيروس الذي ولد بمدينة لبة الليبية سنة ١٤٤م وتعلم في روما ثم التحق بالجيش الروماني سنة ١٦٤م، وترقى بالناصب حتى صار نائباً عن لبة بمجلس الشيوخ بـروما، ثم أصبح إمبراطوراً سنة ١٩٣م، أجرى عدة إصلاحات لبلدة وغيرها من المدن الليبية سنة ٢٠٣م، ومن أهم آثاره ببلدة قوس النصر الذي يحمل إسمه، وقد اختلفت الآراء حول تاريخ وفاته، فقيل أنه توفي بمدينة يورك بإنجلترا في ٤ فبراير سنة ٢١١م، بينما هناك رأى بأنه توفي سنة ٢٣٥م، (انظر: نجم الدين غالب الكيب: مدينة لبة. الإسم والنشأة والتاريخ - طرابلس - ١٩٨١ - ص ص ١٩١ - ١٩٣).

(٥) سليمان مصطفى إزييس: آثار المغرب العربي (العدد ٢٨ من كتاب البعث) تونس - ١٩٥٨ - ص ص ٣٣ - ٣٥.

من أنه كان بين الإسكندرية وطرابلس الغرب حصون متقاربة، وأن خبر العدو ينتهى من طرابلس إلى الإسكندرية أو العكس فى ثلاث ساعات أو أربع من الليل^(١). كما لاحظ التجانى الذى زار طرابلس من ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م إلى ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م ذلك فقال «ورأيت بسورها من الإعتناء وإحتفال البناء ما لم أره لمدينة سواها»^(٢).

إلا أن هذا التحصين لم يوقف هجمات الطامعين فى طرابلس، سواء كانت القوى المسيحية، أو تسلط بعض جيرانها عليها، والتعرض لهجوم بعض القبائل. وكان لذلك الصراع المستمر أثره الواضح على النشاط العمرانى فى طرابلس إذ تحول إهتمام الناس إلى الكفاح بدلاً من توفير وسائل العمران ونشر المعارف، فكانت كلما خطت المدينة خطوة فى سبيل التعمير تكالبت عليها الظروف وعرقلت مسيرتها، وقضت على الكثير من نتاجها العمرانى.

ويمكن الإستدلال على ذلك من خلال تتبع بعض الأحداث، ففى خلال الفترة من سنة ٨٢هـ / ٧٠١م وحتى سنة ٨٤هـ / ٧٠٣م لم تتوقف أعمال التخريب التى مارستها جيوش الكاهنة البربرية «داهية». وفى سنة ١٨٩هـ / ٨٠٤م ثار أهل طرابلس على سفيان بن المضاء عامل إبراهيم بن الأغلب على طرابلس ونصبوا إبراهيم بن سفيان بن التميمى حاكماً عليهم. وفى سنة ١٩٦هـ / ٨١١م ثار أهل طرابلس على عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب، كما تكررت ثورتهم سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ضد أحمد بن محمد بن الأغلب - وخلال النصف الثانى من القرن ٤هـ / ١٠م إستمر الصراع محتدماً حول إمارة طرابلس على مدى قرن ونصف من الزمان بين كل من الزيريين والزناتيين، حتى تمكن

(١) المراكشى (عبد الواحد)؛ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الاندلس إلى آخر عصر المرحدين - تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العريى العلى - القاهرة ١٩٤٩ - ص ٣٤١.
- إحصان عباس - تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى مطلع القرن التاسع الهجرى - الطبعة الاولى - ليبيا - ١٩٦٧ - ص ٩٦.

(٢) التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد)؛ رحلة التجانى فى البلاد التونسية والقطر الطرابلسى (٧٠٦ - ٧٠٨هـ) تقديم حسن حسنى عبد الوهاب تونس ١٩٥٨ - ص ٢٣٨.

الزيريون من إخضاع طرابلس نتيجة للصراع بين الزعامات الزناتية^(١). وفى سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م تلقت طرابلس الضربة الأولى من هجوم قبائل بنى هلال الذين خرجوا من مصر للانتقام من المعز بن باديس عامل الفاطميين على أفريقية لخروجه عن المذهب الشيعى وولائه للخليفة العباسى^(٢). وقد خرب هؤلاء التحصينات الساحلية المنيع التى أقامها الأغالبة^(٣). وفى سنة ٥٤١هـ / ١١٤٥م وقعت طرابلس ولأول مرة منذ الفتح الإسلامى لها - فى قبضة المسيحيين وذلك بعد أن تمكن نورمان صقلية من الإستيلاء عليها، وإستمروا بها حتى تمكن أبو يحيى مطروح إخراجهم منها سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م^(٤). وعلى الرغم من قصر الفترة التى قضاها النورمان فى طرابلس إلا أنهم قاموا بهدم العديد من عمائر المدينة^(٥).

وإن كانت طرابلس قد نعمت بكثير من الإستقرار فى العصر الحفصى وترتب على ذلك بعض الإنجازات المعمارية التى تدل عليها كتابات الرحالة، فقد أعجب التجانى بسور المدينة بالإضافة التى أحاط بها أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص السور سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م والتى تعرف بـ «الستارة» والمسجلة على أحد أبواب السور وهو باب عبد الله^(٦). كما كانت المدرسة المنتصرية من أجمل عمائر المدينة، فقد أثنى عليها كل الرحالة الذين زاروا طرابلس، حتى الرحالة العبدري الذى زار طرابلس سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م وتحامل على أهلها فقد قال. وما رأيت

(١) سنوسى يوسف إبراهيم: وروزناته فى المغرب الإسلامى من خروج الفاطميين حتى قيام المرابطين (٣٦٢ - ٤٦٢هـ). رسالة دكتوراه - آداب عين شمس - ١٩٨٥ ص ١٩٩.

(٢) ابن خلدون (عبد الرحمن)؛ العبر وديوان المبتدا والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر. الجزء الرابع - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ١٩٨٣ - ص ٧٢، الجزء السادس - ص ١٤.

- التجانى (أبو محمد عبد الله)؛ المرجع السابق - ص ١٧.

(٣) عز الدين عمر - المد موسى، دراسات فى تاريخ المغرب الإسلامى - الطبعة الأولى - دار الشروق القاهرة - ١٩٨٣ - ص ١٧.

(٤) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام - القاهرة ١٩٨٦ - ص ٢٩١.

(٥) معبد على حامد: المعالم الإسلامية بمتحف طرابلس مصلحة الآثار - طرابلس - ١٩٧٨ - ص ١٣.

(٦) التجانى (أبو محمد عبد الله)؛ المرجع السابق - ص ٢٤٠.

فى الغرب مثل مدرستها المذكورة^(١) ولكن يد التخريب إمتدت إلى العبدى من العماثر الحفصىة، نىجة للخلاف بىنهم وىن قبائل البدو، وتشدّد الحفصىىن فى جمع الضرائب بالإضافة^١ إلى نجاح الجنوىىن فى الإستىلاء على المىنة سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م، فعاثوا فىها فساداً وخربوا العبدى من العماثر، إلى أن تمكّن بنو ثابت من إسترداد المىنة سنة ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م^(٢).

خلال القرن ١٠هـ / ١٦م إحتدم الصراع بىن القوى الإسلامىة والمسىحىة لفرض السىطرة على شواطئ البحر المتوسط. ولما كانت طرابلس أقرب نقطة لتموىن ونجدة الجىوش الأوروبىة التى تغزو الشرق الإسلامى، فقد كرس الأسبان جهودهم لإحتلال طرابلس، حتى يمكن منها التصدى للجىوش العثمانىة التى أصبح لها نفوذ فى البحر المتوسط^(٣). وتمكّن الأسبان بالفعل من إحتلال طرابلس سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م، فأصابوا المىنة بالدمار، حتى قىل أنه لم بىق منها قائماً سوى القصر الذى حصنه الأسبان^(٤)، فقد إقتحموا جامع الناقة وقتلوا الأهالى بداخله، وقوضوه حتى سواه بالأرض^(٥)، مما إضطّر أهالى المىنة إلى هجرها وإتجهوا إلى مىنة تاجوراء (شرق طرابلس)، وقد جاء ذلك محققاً لأمال الأسبان الذى سعى إلى توطىن أكبر عدد من الأسبان فى سواحل البحر المتوسط لتكون قواعد لغزو المناطق الداخلىة، ومقاومة الإنذفاع العثمانى فى أوروبا. فقد أصدر نائب الملك فى صقلىة مرسوماً فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٥١٣م أعلن فىه أن كل من ىرىد الهجرة إلى طرابلس من أهل صقلىة فإنه سىمنح منزلاً وأرضاً للزراعة

(١) العبدى (أبو عىد الله محمد بن محمد): الرحلة المفرىة. تحقىق وتعلىق محمد الفاسى. الرىاط - ١٩٦٨ - ص ٧٧.

(٢) إبراهىم شحاته حسن: أطوار العلاقات المفرىة العثمانىة (قراءة فى تأرىخ المغرب عبر خمسة قرون). الإسكندرىة - ١٩٨١ - ص ٦١.

(٣) الطاهر أحمد الزاوى: المرجع السابق - ص ٢٤٦.

(٤) مارمول (كرىتجال): المرجع السابق - ص ١٢١ - ١٢٣.

(٥) مىسانا (غاسىرى): المعمار الإسلامى فى لىبىا. ترجمة على الصادق حسنى - طرابلس - ١٩٧٣ - ص ١٦٦.

ويعفى من الضرائب^(١). ويدل على إبتهاج أوروبا الإحتلال الأسبان لطرابلس، أن سندوب البلاط البابوى فى بولونيا دعى المسيحيين إلى تنظيم إحتفال بهذه المناسبة، كما نظم موكب دينى فى روما^(٢).

لكن نظرة الأسبان إلى طرابلس لا يلبث أن تغيرت، ووجدوا أن وجودهم فيها يكلفهم الكثير نظراً لبعده طرابلس عن أسبانيا، لذلك فقد تنازل الأسبان عنها لفرسان القديس يوحنا (فرسان مالطة) سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م، وكان هؤلاء قد طردهم الجيش العثمانى من جزيرة رودس^(٣).

ولم يكن فرسان مالطة أحسن من سابقهم فى معاملة المنشآت المعمارية فى طرابلس، بل أنهم قاموا بتخريب وتدمير العمائر، ومن ذلك القلعة التى أسند خير الدين برباروسا إلى خير الدين كرماني وإليه على تاجوراء بنائها، وكانت تعرف بقلعة القائد^(٤).

ولولا هذه الظروف السياسية الصعبة التى مرت على طرابلس، وتعاقت عليها

(١) عمر البارونى: الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى طرابلس - طرابلس ١٩٥٢ - ص ٦٦.

(٢) روسى (إيثورى): طرابلس تحت حكم الأسبان - فرسان مالطا. ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسى - الضبعة الثانية - طرابلس - ١٩٨٥ - ص ص ٢٧ - ٢٨.

(٣) فرسان القديس يوحنا (فرسان مالطة) فرقة من المغامرين إتخذوا من جزيرة رودس مقراً لهم، إلى أن تمكن العثمانيون من هزيمتهم وطردهم منها سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م، فأتخذوا من جزيرة مالطة بديلاً ومارسوا منها أعمالهم البحرية، معلنين أنهم يجاهدون باسم السيد المسيح للوصول إلى بيت المقدس وتأسيس دولة مسيحية فى فلسطين. وكانت أسبانيا تستعين بهم فى تنفيذ مخططاتها فى شمال أفريقيا. وكان شعار فرسان القديس يوحنا شكل قلعة محصنة وأسود تتواهب رافعة ذيلها ومخالها بحثاً عن فريسة، يحرسها اسد رابض فى أعلى. (مجموعة: تاريخنا - ليبيا - الكتاب الرابع - جنيف - بدرو: نايف - ص ص ٢٣٢ - ٢٣٤).

واستمر فرسان القديس يوحنا يقيمون فى مالطة حتى إحتلالها نابليون بونابرت وهو فى طريقه إلى مصر سنة ١٧٩٨م (انظر:

Mantrean (R); North Africa in the Sixteenth and seventeenth Centuries. (The Cambridge history of Islam - Vol - 2. Cambridge University Press - 1970) P. 261.

- محمد فريد بك، المحامى: تاريخ الدولة العلية العثمانية - دار الجبل - بيروت - ١٩٧٧ - ص ص ٦٦ - ٦٧.

- رأفت غنيمى الشيخ: فى تاريخ العرب الحديث - الطبعة الثالثة - القاهرة - ١٩٨٠ - ص ٩٠.

(٤) الطاهر أحمد الزاوى: المرجع السابق - ص ص ٢٦٠ - ٢٦٣.

الدول ما بين إسلامية ومسيحية، لكانت طرابلس واحدة من أغنى مدن العالم الإسلامي بآثارها ولعل ذلك يتأكد من خلال كتابات الرحالة الذين مروا بها، ومنهم العبدري الذى تحدث عن جامعها ومدرستها فقال «أن لهما من حسن الصورة نصيباً، ومن إتقان الصنعة سهماً مصيباً، وما رأيت فى الغرب مثل مدرستها المذكورة»^(١) والمقصود هنا المدرسة المستنصرية، كما أن المقصود بالغرب غرب العالم الإسلامى. أما التجانى فقد قال «لم أر أكثر منها نظافة، ولا أحسن إتساعاً وإستقامة، وشوارعها على هيئة شطرنجية، فالماشى فيها يمشى مشى الرخ»^(٢). ولم يقتصر ذلك على الرحالة المسلمين، بل أشاد بها الغزاة أيضاً، فقد ذكر القائد الأسباني «بيترو دى نافارا Pietre di Navarra الذى إستولى على طرابلس، فى الرسالة التى أرسلها إلى نائب الملك فى صقلية، وذلك بعد أربعة أيام من إحتلال المدينة». . . . وبين المدن الكثيرة التى رأيتها فى العالم، لم أر مدينة تماثلها فى قوتها ونظافتها حتى لتبدو مدينة إمبراطورية وليست مدينة لا تنتمى إلى أى ملك خاص، وأنى أرى أن الذين كانوا يشيدون بذكرها لم يقولوا إلا نصف الحقيقة سواء فيما يخص تحصيناتها أو ثرواتها»^(٣).

ولم يكن أمام سكان طرابلس وقد ذاقوا الأمرين من الوجود المسيحى فى بلادهم إلا أن يستنجدون بالدولة العثمانية، فذهب وفد منهم سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م إلى إستانبول، ملتمسين إنقاذهم من ويلات الحكم المسيحى لبلادهم. كما كرر أهل طرابلس طلبهم عندما مر الإسطول العثمانى بطرابلس متجهاً إلى تونس سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م، ولكن درغوث الذى كان قائداً للإسطول إعتذر عن ذلك متعللاً بأنه ليست لديه تعليمات من السلطان العثمانى بذلك^(٤). إلا أن موقف العثمانيون لا يلبث أن تغير، حيث وجدوا فى الإستيلاء على طرابلس

(١) العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد)؛ المصدر السابق - ص ٢٣٩.

(٢) التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد)؛ المصدر السابق - ص ٢٣٨.

(٣) برينا (ك)؛ طرابلس من ١٥١٠ إلى ١٨٥٠ - تعريب خليفة محمد التليسى - الطبعة الأولى. مصراته - ١٩٨٥ - ص ٢٢.

(٤) روسى (إيثورى)؛ المرجع السابق - ص ٧٥.

فرصة لإحكام حلقة سيطرتهم على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط. وذلك بعد أن أستولوا على مصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، والجزائر سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م، خاصة وأن الأسبان كانوا قد إستولوا على وهران وبجاية وتونس، كما كان فرسان مالطة يسيطرون على طرابلس، ويعنى ذلك أن السيادة على سواحل أفريقيا الشمالية كانت للقوى المسيحية، وفى ذلك تهديد للوجود العثمانى حيث أن ذلك يسهل للإسبان الإستيلاء على رودس وجزر اليونان بصفة عامة، وسواحل فلسطين، وقد يتجهون شرقاً إلى مصر^(١). لذلك فقد أصدر السلطان سليمان القانونى أمراً فى ٦ شعبان ٩٥٨هـ / ٩ أغسطس ١٥٥١م بالهجوم على طرابلس^(٢) وفى يوم ١٣ شعبان ٩٥٨هـ / ١٦ أغسطس ١٥٥١م تمكنت القوات العثمانية من فرض سيطرتها على طرابلس^(٣)، وتم تعيين مراد آغا والٍ على طرابلس لأنه كان يحسن اللغة العربية^(٤).

ويمثل العصر العثمانى الأول (٩٥٨ - ١١٢٣هـ / ١٥٥١ - ١٧١١م) بداية مرحلة جديدة وهامة فى تاريخ طرابلس، فقد أصبحت قاعدة بحرية هامة ونقطة إنطلاق للإسطول العثمانى، كما أنها شهدت تطوراً معمارياً وفنياً، وتوسعاً عمرانياً لم تشهده من قبل، فقد إهتم الولاة العثمانيون بتحسين المدينة وذلك بتقوية وترميم الأسوار وبناء الحصون والأبراج، كما حرصوا على تشييد العمائر الدينية التى إمتلأت بها المدينة، ونتيجة لإهتمام الولاة العثمانيون بالتجارة لما كانت تدره عليهم من مكاسب، فقد تطلب ذلك إنشاء الأسواق، فأنشأ عثمان باشا الساقزلى (١٠٥٩ - ١٠٨٣هـ / ١٦٤٩ - ١٦٧٢م) سوق الربع (سوق العرب

(١) أحمد الأنصارى النائب: المتهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب - طرابلس - ١٩٦١ - ص ص ١٩٩ - ٢٠٠.

- برنيا (ك)؛ المرجع السابق - ص ص ٤٠ - ٤١.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: المرجع السابق - ص ٢٦٩.

(٣) رافت غنيمى الشيخ: المرجع السابق - ص ٨٦.

(٤) أحمد الأنصارى النائب: المرجع السابق - ص ٢٠٠.

(٥) عن أسواق طرابلس، أنظر الفصل الرابع من الكتاب.

حاليًا) كما أنشأ محمد باشا شائب العين (١٠٩٩ - ١١١٣هـ / ١٦٨٧ - ١٧٠١م) سوق الترك^(٥). كما نطلب ذلك إنشاء الفنادق لإقامة التجار، ومن أهمها الفندق الكبير الذى أنشأه عثمان باشا سنة ١٠٦٥هـ / ١٦٥٤م، كما أنشأ فى سنة ١٠٧٢هـ / ١٦٦١م فندقًا بالقرب من باب البحر، كذلك فقد أنشأ سليمان كاهية سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م فندقًا بالقرب من جامع درغوت^(١). وإهتم الولاة العثمانيون بتجميل مدينة طرابلس، كما أنشأ دوغوت باشا (٩٦٤ - ٩٧٣هـ / ١٥٥٦ - ١٥٦٥م) ضاحية جديدة عرفت بإسم «المنشية».

وقد ساعد على إنجاز هذه العمائر الوضع الذى تمتعت به طرابلس خلال العصر العثمانى الأول، فقد بلغ الإسطول الطرابلسى درجة من القوة والمهابة جعلت الدول الأوروبية تسعى إلى عقد المعاهدات مع طرابلس حتى تضمن الحماية لسنفها، ومن ذلك المعاهدة التى عقدت بين عثمان باشا وإنجلترا سنة ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م، وجلدت سنة ١٠٧٢هـ / ١٦٦٢م، والتى تم بمقتضاها إنشاء قنصلية بريطانية فى طرابلس^(٢). وكان ولاء طرابلس يحصلون مقابل هذه الإتفاقيات على مبالغ مالية كبيرة وهدايا قيمة. كما كان للنشاط البحرى المتزايدة فى العصر العثمانى الأول دوره على الحصول على الغنائم، فقد بلغت غنائم طرابلس خلال الفترة من سنة ١٦٦٨م وحتى سنة ١٦٧٨م مائة وأربع سفينة، منها ثلاث وثلاثين سفينة فرنسية^(٣). كما كان من ضمن الغنائم أعداد كبيرة من الأسرى إستغلوا فى قطع الأحجار بحاجر قرقارش والهنشير بطرابلس، كما كان بينهم ضاع ومعماريين شاركوا فى تشييد العمائر، فقد ذكر أن كل من مراد آغا ودرغوت باشا وعثمان باشا الساقزلى قد استعانوا بالأسرى فى تشييد عمائرهم. ولم تقتصر موارد طرابلس على الغنائم، بل كان للضرائب التى بالغ الولاة العثمانيون فى فرضها على أهالى طرابلس أثرها فى زيادة موارد الولاية، وقد إستخدم جزء كبير منها فى أعمال البناء والتشييد.

(١) عن فنادق طرابلس، أنظر الفصل الرابع من الكتاب

(٢) Mantran, (R); OP. cit. P. 264.

(٣) Wright, (J); Libya. London. 1969. P. 94.

وعلى الرغم مما واكب فترة الوجود العثماني الأول في طرابلس من إنجازات، إلا أنها قد شابتها بعض الشوائب، ومن ذلك مغالاة ولاية طرابلس في فرض الضرائب على الأهالي مما أدى إلى تدميرهم وثورتهم على الولاية منذ بداية العصر العثماني حتى أنه عندما زار درغوت باشا إستانبول سنة ٩٦٨هـ / ١٥٦١م، أبدى السلطان سليمان القانوني تعجبه من كثرة الثورات في دواخل طرابلس، فقال له درغوت «أنه من العسير يا سيدي التغلب على شعب ينتقل بمدينته ويحملها معه»^(١). وكان من أعتى الثورات ضد العثمانيين الثورة التي قادها يحيى بن يحيى السويدي في تاجوراء سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م، ولكن الأتراك تمكنوا من التغلب عليه^(٢).

كما شاب تلك الفترة الصراع المستمر بين والي (الباشا) المعين من قبل السلطان العثماني، والداي الذي يرأس مجلس الديوان، والباي الذي يرأس الحامية الإنكشارية وكان ذلك يرضى السلاطين العثمانيين الذين حرصوا على عدم استمرار الولاية فترة طويلة في الولاية، لذلك فقد بلغ عدد ولاية طرابلس خلال العصر العثماني الأول ثلاثة وأربعين والياً^(٣)، منهم أربعة وعشرين داياً خلال الفترة من سنة ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م وحتى سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م^(٤). وبلغت مدة ولاية أحدهم يومين فقط وهر يلك محمود الذي تولى سنة ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢^(٥)، بل أن الحاج رجب تولى لمدة ثلاث ساعات فقط، عندما قام أحمد

(١) بونيا (ك)؛ المرجع السابق - ص ص ٥٩ - ٦٠.

Wright, (J); Op. cit. P. 93. -

(٢) روسي (إيتوري)؛ ليبيا منذ الفتح العربي حتى ١٩١١. تحقيق خليفة التليسي. الطبعة الثانية - طرابلس - ١٩٩١ - ص ٢٣٩.

(٣) حسن سليمان محمود؛ ليبيا بين الماضي والحاضر. سلسلة الألف كتاب. العدد ٤٢٦ - القاهرة ١٩٦٢. ص ص ١٧٨ - ١٧٩.

Wright (J); Op. cit. P. 97. (٤)

(٥) ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل)؛ التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار الطبعة الثانية - طرابلس - ١٩٦٠ - ص ١٣٨.

القرمانلى بعزله لتبدأ أسرة جديدة فى حكم طرابلس وهى الأسرة القرمانلية^(١). ومن الطريف أنه قولى الحكم فى نثرة الوجود العثمانى بعض الحرفيين مثل إبراهيم الترزى الذى تولى لمدة عشر أشهر سنة ١٠٩٨هـ / ١٦٨٦م، وعثمان القهوجى الذى حكم عدة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً وذلك سنة ١١١٣هـ / ١٧٠١م^(٢).

يضاف إلى ما سبق إنشغال الولاة العثمانيين بالإسطول والنواحى العسكرية دون الإهتمام بالنواحى المدنية، فقد ذكر العياشى الذى زار طرابلس ثلاث مرات خلال تلك الفترة (١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م، ١٠٦٤هـ / ١٦٥٣م، ١٠٧٢هـ / ١٦٦١م) أن لطرابلس مراكز قل نظيرها، معدة للجهاد فى البحر، قلما تسافر وترجع بغير غيمة، وقلما أسرت لهم سفينة^(٣). ولكن هذه الأعمال إذا كانت قد حققت العديد من المنافع للولاة، إلا أنها كانت وبالأعلى المدينة التى تعرضت لهجمات إنتقامية من الدول المتضررة، ومن ذلك الهجوم الفرنسى الذى حدث على طرابلس أثناء فترة حكم محمد باشا شائب العين (١٠٩٩ - ١١١٣هـ / ١٦٨٧ - ١٧٠١م) وقصفوا المدينة عدة أيام، وأشعلوا فيها الحرائق^(٤).

طرابلس فى العصر القرمانلى؛

وقد أدت ظروف الإضطراب السياسى فى الفترة الأخيرة من العصر العثمانى الأول إلى تمكن الأسرة القرمانلية من الوصول إلى الحكم سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م، وعلى الرغم من معارضة الدولة العثمانية لهذا الأمر، إلا أن الظروف السياسية الداخلية التى كانت تواجهها، بالإضافة إلى الأخطار الخارجية التى

(١) فيرو (شارل)؛ الحوليات اللبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى. الكتاب الثانى. تعريب محمد عبد الكريم الوافى - طرابلس - ١٩٧٣ - ص ٣٧٩.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: ولاة طرابلس الغرب من بداية الفتح العربى إلى نهاية العهد التركى. الطبعة الأولى - بيروت - ١٩٧٠ - ص ٢٠٤.

- رافت غنيمى الشيخ: المرجع السابق - ص ٨٧.

(٣) العياشى (عبد الله بن محمد بن أبى بكر)؛ الرحلة. طبعة فاس ١٣١٦هـ. ص

(٤) مجموعة ليبيا - تاريخنا - الكتاب الخامس - جنيف - بدون تاريخ - ص ٥٧.

كانت تتهددها وخاصة الخطر الروسى، جعلتها تقبل ذلك مضطرة، وأصدرت مرسوماً فى سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢٢م بتعيين أحمد القرماني والياً على طرابلس ومنحه لقب «ميرمران» ولقب باشا^(١). وكان ذلك فى عهد السلطان العثمانى أحمد الثالث.

ويرجع أصل الأسرة القرمانية إلى ولاية «قرمان» فى الأناضول، وقد وصل أحمد القرماني إلى منصب «باشا آغا فرسان الساحل والمنشية» وذلك فى عهد الوالى العثمانى على طرابلس «خليل باشا». وقد بدأ أحمد القرماني فترة حكمه بشيء من العنف والتهور، ففى الحفل الذى أقامه بمناسبة توليه الحكم تخلص من ثلاثمائة من الضباط الأتراك، كما تأزمت علاقاته مع القبائل الليبية ورفضت هذه القبائل دفع الجزية، فى نفس الوقت الذى سادت علاقاته مع أوروبا وخاصة فرنسا. إلا أن بعض الدول الأوربية حاولت الإبقاء على علاقاتها مع طرابلس حفاظاً على مصالحها، ومن تلك الدول هولندا^(٢).

وعلى الرغم من هذه الظروف مجتمعة إلا أن أحمد باشا تمكن من إخماد ثورات القبائل ضده فى كل من تاجوراء وترهونة ومسلاته، وساعده على ذلك أن هذه الثورات لم تقم فى وقت واحد وإنما فى فترات متفرقة^(٣).

وقد دامت فترة حكم أحمد القرماني لطرابلس أربعة وثلاثين عاماً حيث إنتهت سنة ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م، عندما إنتحر بعدما فقد بصره. ويعتبر الكثير من المؤرخين أن فترة حكمه كانت أفضل فترات حكم الأسرة القرمانية والعصر العثماني فى ليبيا بشكل عام^(٤)، وذلك لأنه تمكن من السيطرة على كل الأراضى الليبية وحقق الوحدة لها، ومن ذلك إقليم فزان الذى أخضعه لسلطانه، بعد أن

(١) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق - ص ٣٣٨.

(٢) ميكاكى (رودلفو)؛ طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرماني. تقديم كمال الخريوطي مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخريوطي. القاهرة - ١٩٦١. ص ص ١٧ - ١٠.

(٣) رأفت غنيمى الشيخ (و)؛ المرجع السابق - ص ص ٩٠ - ٩١.

(٤) الطاهر أحمد الزاوى؛ المرجع السابق - ص ٢٢٣.

أعلن حاكم فزان «محمد ناصر» انفصاله عن باشا طرابلس وإمتنع عن دفع الجزية^(١)، وكانت سيطرة العثمانيين تقتصر خلال العصر العثماني الأول على المدن الساحلية فقط، وقد أفاد ضم إقليم فزان إلى سيطرته من فتح طرق التجارة بين طرابلس والمدن الأفريقية^(٢)، مما إنعكس بالتالى على الأحوال الاقتصادية والسياسية لليبيا.

فمن الناحية الاقتصادية فقد أدت زيادة الموارد إلى تحسن الأحوال المعيشية لأفراد الشعب الليبي، وساعد ذلك الحكومة على القيام بالإصلاحات المطلوبة والمتمثلة فى المنشآت بكافة أنماطها من قلاع وحصون لحماية المدينة، ومنشآت دينيه ومن أهمها الجامع الكبير الذى أنشأه بمدينة طرابلس^(٣)، بالإضافة إلى بئر المياه التى حفرها لضمان تزويد المدينة بالمياه، كما إهتم إهتماماً كبيراً بالأسطول البحرى وأعاد إليه سابق شهرته مما جعل الدول الأوربية وعلى رأسها إنجلترا وهولندا تسعى لكسب ود أحمد باشا القرماتلى حتى تضمن عدم التعرض لسفنها فى البحر المتوسط، وكان ذلك من أسباب زيادة موارد طرابلس فى العصر القرماتلى^(٤). خاصة وأن عدداً من الدول الأوربية قد إندرج ضمن هذه المعاهدات مثل فرنسا وأسبانيا والسويد والجمهوريات الإيطالية، فى الوقت الذى كانت الدولة القرماتلية تغالى فى فرض الإتاوات على سفن هذه الدول. كما كانت من عوامل قوتها العسكرية، ففى نفس المجال قدمت حكومة جنوة لطرابلس سفينة مزودة بخمسين مدفعاً وكميات من البارود والذخائر، كما قدمت الحكومة الهولندية عند تجديد المعاهدة التى عقدت بينها وبين طرابلس سنة ١٦٨٣م، أربعة مدافع من البرونز، وخمسة قناطير من البارود^(٥).

(١) ميكائى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ٢٠.

(٢) رافت غنيمى الشيخ (و)؛ المرجع السابق - ص ٩٢.

(٣) أنظر صفحات. ٥٥ - ٥٨.

(٤) حسن سليمان محمود؛ المرجع السابق - ص ١٨٢.

- زاهر رياض؛ شمال أفريقيا فى العصر الحديث. القاهرة ١٩٦٧ - ص ١٠٥.

- ميكائى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ص ١/ ك.

(٥) ميكائى (رودلفو)؛ المرجع السابق. ص ص ١٦ - ١٧.

ومن المحاسن فى فترة حكم أحمد باشا أنه وضع قوانين للدولة وأشرك بعض الوطنيين فى الجيش وإدارة البلاد، كما أسس جمعية علمية، وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة^(١).

وقد توفى أحمد باشا متحرراً سنة ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م، وخلفه ابنه محمد على الرغم من أنه لم يكن أكبر أبناءه، ولكن كان يتمتع بسمعة طيبة^(٢). وقد واجه العديد من المصاعب خلال فترة حكمه القصيرة والتي لم تدم إلا سبع سنوات فقط، وخاصة ثورة الألبان والأرناؤوط من الإنكشارية عليه، وكذلك ثورة أهل درنه وغريان، مما دفعه إلى الاستعانة بجنود من الإنكشارية من أزمير. أما عن الأحوال الخارجية فى عهده، فإنه نتيجة لإحتفاظ الإسطول القرمانيلى بقوته فقد أسرعت بعض الدول الأوروبية يعقد معاهدات مع محمد باشا لضمان سلامة سفنها، ومن ذلك المعاهدات التى عقدتها كل من النمسا والدغراك وإنجلترا وفرنسا. وقد توفى محمد باشا فى ٢٤ يوليو سنة ١٧٥٤م^(٣)، إلا أن ميكاكى يذكر أن وفاته كانت فى ٢٤ يوليو سنة ١٧٥٢م^(٤).

وتولى حكم طرابلس بعده ابنه على، الذى واجه مصاعب عدة، ففى الداخل تعرضت البلاد سنة ١١٧٠هـ / ١٧٦٧م لمجاعة شديدة دفعت الأهالى إلى الهجرة إلى تونس ومصر. وفى سنة ١١٨٩هـ / ١٧٨٥م أصيبت البلاد بطاعون أودى بحياة الآلاف من الأهالى. ومن الطبيعى أن يصاحب ذلك إنتشار القلاقل والفتن والإضطرابات. هذا فى الوقت الذى كان جنود الإنكشارية يسيرون الأمور حسب أهوائهم، ويعتدون على السفن الأوربية التى تربط بلادهم بطرابلس معاهدات مما أدى إلى تدهور العلاقات بين أوروبا وطرابلس وتعرض طرابلس لهجوم بحرى أوروبى.

(١) رافت غنيمى الشيخ (د)؛ المرجع السابق. ص ٩٣، ص ١٠٩.

(٢) رافت غنيمى الشيخ (د)؛ نفس المرجع. ص ٩٣.

(٣) رافت غنيمى الشيخ (د)؛ نفس المرجع. ص ٩٤ - ٩٦.

(٤) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق. ص ٨٩.

ولم يجد الأهالي وقد ساءت أحوالهم سوى الإستنجاد بالأستانة، فإستفاد من ذلك أحد المغامرين ويدعى «على برغل» وعرض على السلطان سليم الثالث أن يخلصه من أسرة القرمانيلى دون أن يكلف الباب العالى شيئاً فى ذلك حيث سيتولى تجهيز الحملة وكافة نفقاتها بنفسه مقابل تعيينه والياً على طرابلس. وقد وافق السلطان سليم الثالث وأصدر فرماناً بذلك، ولما علم على القرمانيلى بذلك فرو معه أسرته إلى تونس^(١).

وكان على برغل رجلاً فظاً غليظاً لم يحسن معاملة السفراء والقناصل الأجانب بطرابلس، كما ساءت علاقته مع حمودة باشا حاكم تونس، بالإضافة إلى ما تعرض له أهالى البلاد من أعمال السلب والنهب وهتك الأعراض، وقد دفع ذلك حمودة باشا إلى مساعدة القرمانيلىين لإسترداد طرابلس، وقد تمكنوا من ذلك بالفعل فى ١٩ يناير ١٧٩٥م، وهرب على برغل إلى الإسكندرية حيث إستضافه مراد بك فى قصره بالجيزة^(٢).

وتعتبر فترة حكم يوسف القرمانيلى من أزهى الفترات فى تاريخ الأسرة القرمانيلى فقد ذكر الكاتب الأسباني Domingo Bediay Leblick الذى أقام فى طرابلس من سنة ١٨٠٥م حتى ١٨٠٦م «... لقد إنقضت عشر سنوات ونصف وهو متريع على العرش والشعب راض عنه كل الرضا»^(٣). ولا شك أن هذا الرضا كان لما أقدم عليه يوسف القرمانيلى من إقرار النظام فى البلاد، والقضاء على الفساد، وإشاعة روح التسامح بين أبناء الشعب بمختلف دياناتهم، مما دفع أعداد كبيرة من يهود تونس والجزائر وأوروبا للهجرة إلى ليبيا^(٤). كما تمكن من القضاء على كل الثورات الداخلية التى قامت ضده فى كل من غريان وفزان

(١) رافت غنيمى الشيخ (د)؛ المرجع السابق. ص ص ٩٦ - ٩٨.

(٢) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق. ص ص ١٢٨ - ١٢٩.

- رافت غنيمى الشيخ (د)؛ المرجع السابق. ص ص ٩٨ - ٩٩.

(٣) على بك العباسى: رحلات فى أفريقيا وآسيا من ١٨٠٣ حتى نهاية ١٨٠٧م. ح ٢. ترجمة سيتفانو

تيكوزى - ميلانو ١٨١٦م. ص ١٨٥.

(٤) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ص ١٣٣ - ١٣٤.

وغدامس ونالوت وتروته وسرت^(١). كذلك فقد إهتم يوسف القرماني بتنظيم الأسطول البحرى وأستد قيادته إلى إنجليزى «بيتر ليل» الذى إعتنق الإسلام وسمى «مراد رئيس» كما شيد العديد من المباني وأصلح أسوار مدينة طرابلس^(٢).

أما عن علاقات يوسف القرماني الخارجية فقد شهدت فترات من التوتر خاصة عندما خالف توجهات الباب العالى الذى كان يعد حملتين لطرده الحملة الفرنسية من مصر، بينما وقع يوسف القرماني معاهدة فى فرنسا سنة ١٨٠١م. يتمكن بمقتضاها الفرنسيون من إمرار الرجال والعتاد إلى مصر عبر ليبيا^(٣). ولم يخرج يوسف القرماني من هذا المأزق إلا جلاء القوات الفرنسية عن مصر سنة ١٨٠١م. كما توترت العلاقات بين ليبيا وأمريكا بعد ما هاجمت السفن الليبية السفن الأمريكية، وأدى ذلك إلى حصار ميناء طرابلس وقذف المدينة بالقنابل، وإزداد الأمر سوءاً عندما تمكنت البحرية الليبية من أسر السفينة الأمريكية «فيلادلفيا» وبحارتها الثلاثمائة، مما جعل السفير الأمريكى فى تونس «إيتون Iton» يرتب لحملة بقيادة «أحمد القرماني» الذى فر إلى مصر. وبعد أن تمكنت تلك الحملة من الإستيلاء على درنة وافق يوسف القرماني على إطلاق سراح الأسرى الأمريكين مقابل فدية من المال^(٤).

وعلى العكس من سنوات حكمه الأولى، فقد ساءت الأحوال خلال الفترة الأخيرة من حكمه، وضعفت الموارد المالية حتى إضطّر لبيع الأسطول، وقام بسك المدافع فلوساً، وبالف فى فرض الضرائب والتعسف فى جبايتها. وفى ١٢ أغسطس ١٨٣٢م عقد اجتماعاً تنازل فيه عن الحكم لإبنه على^(٥).

(١) نقولا زيادة (د)؛ ليبيا من الإحتلال الإيطالي إلى الإستقلال. مصر ١٩٥٨ ص ٤٤.

(٢) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق. ص ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٣) نقولا زيادة (د)؛ المرجع السابق. ص ٤٦.

(٤) نقولا زيادة (د)؛ المرجع السابق. ص ٤٧.

(٥) رافت غنيمى الشيخ (د)؛ المرجع السابق. ص ١٠٦.

وقد شهدت الفترات التالية تدهوراً في أحوال البلاد، وكانت الدولة العثمانية تراقب الأحداث وتتحين الفرص لكي تستعيد سيطرتها على طرابلس، فاستغلت ظروف الصراع بين أفراد البيت القرماني و خاصة الصراع بين علي ومحمد القرماني، وكذلك ثورات القبائل وخاصة قبيلة أولاد سليمان بفزان التي يتزعمها عبد الجليل سيف النصر، وقبيلة المحاميد التي يتزعمها غومة بن خليفة المحمودى. كما كانت تركيا تخشى أن تمتد أطماع فرنسا إلى ليبيا بعد أن سقطت تونس بأيدي الفرنسيين سنة ١٨٣٠م، فقام السلطان محمود الثانى بإرسال إسطول عثمانى إلى طرابلس، وتم عزل على باشا القرماني وتعيين مصطفى نجيب باشا والياً على طرابلس، لينتهى بذلك حكم الأسرة القرمانية الذي دام من سنة ١٧١١م إلى سنة ١٨٣٥م^(١).

ويعتبر العصر القرماني إحدى النتائج التي تمخضت عن سياسة العثمانيين في المنطقة، والتي كان دور الحاكم فيها لا يتعدى جمع الأموال التي تساعد على دفع رواتب الجنود، لكي يحافظ على بقاءه في الحكم^(٢). فقد إستمرت هذه السياسة فى العصر القرماني وكان جنود الإنكشارية والقولوغلية أدوات القرمانيين لجمع الضرائب والتعسف فى ذلك. كذلك فقد تحولت القرصنة فى تلك الفترة من عمل تمارسه أفراد وعصابات إلى أسلوب دولة، وأن كان هذا الأسلوب قد أدخل إلى الخزينة القرمانية أموالاً طائلة، إلا أنه كان أحد عوامل إنهاك الدولة عندما ضعف أسطولها وفقدت مكانتها فى البحر المتوسط، وأخذت الدول الأوروبية تفرض عليها الإتاوات^(٣).

إلا أنه مما يحسب لحكام العصر القرماني إلى جانب ما قاموا به من إنشاءات

(١) ميكائى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

- محمد رفعت: تاريخ حوض البحر المتوسط. ص ٣١٥.

(٢) مجموعة: ليبيا. تاريخنا. المجلد الخامس - جنيف - بدون تاريخ - ص ٦٤.

(٣) رافت غنيمى الشيخ: المرجع السابق - ص ص ١٠٨ - ١٠٩.

مدينة ودينية، والإهتمام بتحصين مدينة طرابلس، إهتمامهم بالتعليم وتشجيعهم واحترامهم للعلماء^(١).

طرابلس فى العصر العثمانى الثانى:

عاد الأتراك إلى طرابلس وهم يواجهون حالة رفض من قبل أهالى طرابلس، لأن الروح العدائية لدى العرب كانت قد إزدادت بسبب تسلط جنود الإنكشارية، وعلم الأهالى أن الأتراك لن يسعوا إلى تغيير ما أدى إلى سخط الشعب سابقاً، وأن إهتمام الحكام الأتراك ستركز على جمع الاموال. لذلك فإنه عندما تولى «محمد رثيف» أو «رؤوف باشا» سنة ١٨٣٥ - ١٨٣٦م، فقد واجه رفضاً من أهالى منطقة المنشية بطرابلس، كما قام بإخضاع أهل تاجوراء وجنزور والزواوية بالقوة. لكن الدولة العثمانية كانت تسعى فى كثير من الأحيان إلى إرضاء الأهالى عندما تشعر بإزدیاد غضبهم، ومن ذلك على سبيل المثال ما حدث سنة ١٨٣٨م عندما علمت تركيا بغضب الأهالى من حسن باشا (تولى فى أبريل ١٨٣٧م) فإستدعته إلى تركيا وعينت بدلاً منه على عسکر، الذى تنازل للأهالى عن الضرائب القديمة^(٢). وإذا كانت مثل هذه الثورات بالإضافة إلى قصر فترة حكم الولاة العثمانيين من أسباب تعويق مسيرة الإصلاح والنهوض بالبلاد، الأمر الذى جعل بعض الرحالة والكتاب يصفون هذا العصر بأنه قد خلا من مظاهر الإصلاح والتقدم، ومن ذلك الرحالة الحشائشى الذى وصف أهالى البلاد فى ذلك العصر قائلاً «أما العلوم والمعارف العصرية فلا توجد عندهم ولا يشمون لها رائحة»^(٣). وعندما زار الرحالة الألمانى هـ. بارث H.Parth طرابلس سنة ١٨٦٤م ذكر أنه وجد المدينة فى ظروف صعبة بسبب الحروب الأهلية التى سادت الفترة الأخيرة

(١) عمر على بن إسماعيل: إنبهار حكم الأسرة القرماتية فى ليبيا ١٧٩٥ - ١٨٣٥. طرابلس. بدون تاريخ. ص ١٧٢.

(٢) كاكيا (أ. ج): ليبيا فى العهد العثمانى الثانى. ترجمة يوسف حسن العلى - مصر ١٩٤٦. ص ٣٩ - ٤٣.

(٣) الحشائشى (محمد بن عثمان)؛ جلاء الكرب عن طرابلس الغرب - تحقيق على مصطفى المصراتى - بيروت. ١٩٦٥ ص ٩٠.

من العصر القرمانلى، وسوء الإدارة العثمانية فى عهدها الثانى^(١). كما يذكر «فرانشيسكو كورو» أن الحكومة التركية لم تهتم برفع المستوى المعنوى والمدنى للسكان، كما لم تفعل شيئاً للنهوض برعاياها، وخاصة القبائل التى تعيش خارج المراكز الرئيسية، كما يذكر فى موضع آخر لم تفعل الحكومة العثمانية شيئاً فى طرابلس أو برقة لتحسين طرق المواصلات بين المدن الساحلية ومراكز الإنتاج الزراعى، ولم تتخذ إجراءات لإنشاء مخازن للحبوب لمواجهة سنوات الجذب^(٢).
 أنه من الحق القول أن هذا العصر إذا كانت قد شابهت بعض العيوب، إلا أنه شهد أيضاً العديد من الإصلاحات، ولعل من أهم الإصلاحات فى تلك الفترة اشتراك أفراد من الشعب الليبى فى شئون حكم الولاية، فقد أوجد الأتراك وظيفة «شيخ البلد» التى كان يتولاها أحد أصحاب المكانة من أبناء الشعب الليبى، ويقوم بمساعدة الوالى فى إدارة شئون المدينة، ويعاونه مجموعة من الموظفين يسمى كل منهم «قائد» واستمر هذا النظام متبعاً حتى سنة ١٨٦٩م حين صدر قرار سلطانى بتأسيس نظام البلديات فى المدن وإلغاء وظيفة شيخ البلد^(٣).
 كما كان ضمن أعضاء مجلس كل من ولاية طرابلس وبرقة ستة أعضاء من الليبيين يتخبهم الشعب كل عامين^(٤).

كما شهد العصر العثمانى الثانى إقامة أول محكمة تجارية فى طرابلس، وكانت مركزاً للوكلاء التجاريين من أوربا وأفريقيا، وكان ذلك سنة ١٨٥١م^(٥).

أما فى مجال التعليم والثقافة، أنه يستدل من إحصائية عن المنشآت بمدينة طرابلس عند بداية الإحتلال الإيطالى أنه كان بها ثلاثة وثلاثين مسجداً، وواحد وعشرين كتاباً وثلاثة معاهد إسلامية، وخمس زوايا، وخمس مدارس إيطالية،

(١) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق - ص ٧٥.

(٢) كورو (فرانشيسكو)؛ ليبيا أثناء العهد العثمانى الثانى. تعريب وتقديم خليفة محمد التليسى. الطبعة الثانية طرابلس - ١٩٨٤ ص ٢١، ص ص ١١٠ - ١١١.

(٣) تيسير بن موسى: المجتمع العربى الليبى فى العهد العثمانى - طرابلس - ١٩٨٨ - ص ص ٢٩ - ٣٠.

(٤) كاكيا (أ. ج.): المرجع السابق - ص ٨٧.

(٥) تيسير بن موسى: المرجع السابق - ص ١٧.

ومدرستان فرنسيّتان وإثنان وعشرين معبداً يهودياً، وكنيستان^(١). وكانت كل هذه المنشآت حتى الدينى منها سواء المساجد أو الزوايا أو المعابد والكنائس تؤدى دوراً تعليمياً إلى جانب دورها الدينى، مما يدل على إنتشار التعليم فى ذلك العصر. ولم يقتصر الأمر على التعليم الدينى بل بدأ فى هذا العصر الإهتمام بالتعليم الفنى، وذلك عندما أنشأ نامق باشا مدرسة الفنون والصنائع سنة ١٨٩٨م.

وفى مجال الثقافة فقد تأسست فى هذا العصر أول مطبعة وكانت بقلعة طرابلس، وهى مطبعة حجرية، صدرت عنها أول صحيفة فى ليبيا وهى صحيفة «طرابلس غرب» وذلك سنة ١٨٦٦م، وقد نقلت هذه المطبعة بعد ذلك إلى مدرسة الفنون والصنائع^(٢). كما صدرت أول جريدة شعبية فى ليبيا، وهى جريدة الترقى التى صدرت سنة ١٨٩٧^(٣).

وفى مجال الرعاية الطبية فقد تأسس فى عهد والى أحمد عزت سنة ١٨٧٨م أول مستشفى مدنى عام، وقد إستغرق بناؤه ثلاث سنوات، وأفتتح فى عهد أحمد راسم سنة ١٨٨١م وكانت تعرف بمستشفى الغرباء^(٤). وتوجد وثيقة محفوظة بدرا المحفوظات التاريخية بطرابلس تشير إلى أن العثمانيين قاموا بتأسيس مستشفى عسكري سنة ١٨٣٨م كانت مخصصة للعسكريين فقط. كما أنشأت بلدية طرابلس سنة ١٨٧٠م مستوصفاً داخل مدينة طرابلس القديمة. إلا أن البعثات التبشيرية الأجنبية كان لها دورها فى مجالات الطب فى طرابلس، ففى رسالة من والى طرابلس إلى الديوان العثمانى مؤرخة فى ٦ أكتوبر سنة ١٨٩٨م ذكر، أن الراهبات إفتحن مستشفى يداوين فيه المرضى الفقراء، ويصرفن لهم

(١) كورو (فرانثيسكو)؛ المرجع السابق - ص ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) كورو (فرانثيسكو)؛ المرجع السابق - ص ١٥٣، نقولاً زيادة: ليا فى العصور الحديثة مصر. ١٩٥٨.

ص ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) تيسير موسى؛ المرجع السابق - ص ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٤) محمد ناجى، محمد نوري؛ طرابلس غرب. ترجمة أكمل الدين محمد إحسان - طرابلس ١٩٧٣ ص

ص ص ٢٠٠ - ٢٠١.

الدواء مجاناً، ويأخذون رسماً رمزياً من ذوى اليسار، كما أن المبشرين البروتستانت يقدمون الأدوية للمرضى ويفرأون عليهم الإنجيل^(١)

وما يجدر ذكره أن العلاج قبل العصر العثماني كان يتم في الأربطة التي تضم مستشفيات لعلاج المرضى^(٢). وكان يوجد في طرابلس حتى سنة ١٧٨٥م طبيب واحد فقط من جنوة بإيطاليا يختص بعلاج الباشا القرمانلى وأفراد أسرته وقناصل الدول الأجنبية، في حين كان يوجد بطرابلس في العصر العثماني الثاني مجموعة من الأطباء المجازين من الكلية الثبية الملكية في إستانبول^(٣).

وقد ازدهرت في طرابلس خلال العصر العثماني الثاني بعض الصناعات، ومن أهمها صناعة المنسوجات، فقد أدخل أحمد راسم باشا صناعة نسج الحرير، وقام في سنة ١٨٩٩م بإحضار ٢٢٠٠ شجرة تبوت من الأناضول وزرعها في منطقة سيدى المصرى بطرابلس^(٤) وكان بطرابلس سوق للحرير، ولكن الولاة العثمانيين لم يهتموا بهذه الصناعة، وبعد الحرب الإيطالية التركية سنة ١٩١١م هاجر عدد كبير من صناع الحرير إلى تونس، كما كانت صناعة الحصير من الصناعات التي اشتهرت بها طرابلس خلال ذلك العصر، وكان يصدر إلى تركيا وبرقة والإسكندرية وتونس^(٥).

وقد تروى على ازدهار التجارة ووجود صناعات إنشاء أسواق جديدة، ومنها سوق احميدية الذى أنشئ في عهد أحمد عزت باشا، وسوق المشير الذى أنشئ في عهد رجب باشا. وسوق العزيزية التى أنشئ في عهد على رضا باشا^(٦).

كما نالت المرافق والخدمات العامة إهتماماً كبيراً من ولاة العثمانيين في العصر

(١) عبد السلام أدهم: وثائق تاريخ ليبيا الحديث. بنغازى ١٩٨٣ ص ١٣٥.

(٢) عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن ١٦ - ١٩م. القاهرة ١٩٥٨. ص ١٦.

(٣) تيسير موسى: المرجع السابق - ص ٢٧٥.

(٤) كاكيا (أ. ج): المرجع السابق - ص ١٧٧.

(٥) كاكيا (أ. ج): نفس المرجع. ص ١٢١.

(٦) أحمد الأنصارى النائب: المهمل. ص ٣٩٩ - ٤٠٤، كاكيا (أ. ج) المرجع السابق. ص ٦٠.

العثماني الثاني، ففي عهد نامق باشا إمتدت أنابيب المياه لجلب الماء من عين زارة بعد أن أصبحت عين «بومليانة» لا تكفي لإمداد طرابلس بالماء^(١). كما إهتم على رضا باشا بمد الطرق وتنظيم البريد، وفي عهد أحمد عزت باشا زاد الإهتمام بالبريد وخصص باخرة، كانت تعرف بـ «المولودية» لنقل البريد. كذلك إمتدت أسلاك البرق بين طرابلس والخمس (على بعد ١٢٠ كم شرق طرابلس)، وإمتدت في سنة ١٨٦٢م بين طرابلس ومالطة^(٢). كما كانت الشوارع الرئيسية بالمدينة معبدة وفضاء ليلاً بقناديل الكيروسين^(٣)، وقد استبدلت هذه المصابيح بأخرى تعمل بالكهرباء سنة ١٩١٠م كما تم تسير حافلات كهربائية (ترام) بالمدينة^(٤).

ومن الأعمال الأخرى التي تنسب إلى تلك الفترة، الباب الذي فتح في عهد الوالي محمود نديم في الجهة الغربية من طرابلس وذلك لتسهيل الإنتقال بين المدينة وحي المنشية والقرى المجاورة، وأعمال إصلاح وتدعيم أسوار المدينة والقلعة، والتي تمت في عهد أحمد عزت باشا، وكذلك منار ميناء طرابلس، والمرفقخانة، وهي عبارة عن ساعة كبيرة دقاقة، عملت في عهد على رضا باشا^(٥).



مما سبق يتضح أن فترة الوجود العثماني في طرابلس لم تكن كلها مساوئ كما يعتقد البعض، بل أنها شهدت العديد من الإصلاحات التي لم تكن الهدف منها مجرد تحقيق مصالح الولاة العثمانيين، بل أنها انعكست على جوانب الحياة العامة للشعب، خاصة وأنها شملت التعليم والرعاية الطبية، وإستخدام بعض الوسائل الحضارية مثل البرق والبريد والكهرباء والمياه ووسائل الإنتقال.

(١) كاكيا (أ. ج)؛ المرجع السابق. ص ٥٩.

(٢) أحمد الأنصاري النائب؛ المرجع السابق. ص ص ٣٩٨ - ٣٩٩، كاكيا (أ. ج)؛ المرجع السابق. ص ص ٤٨ - ٥٢.

(٣) كاكيا (أ. ج)؛ المرجع السابق. ص ١٠٧.

(٤) تيسير موسى؛ المرجع السابق. ص ٣٣.

(٥) أحمد الأنصاري النائب؛ المرجع السابق. ص ص ٣٩٥ - ٣٩٩، كاكيا (أ. ج)؛ المرجع السابق. ص ٥٢.

وفى سلسلة الصراع بين تركيا وإيطاليا توجهت أنظار إيطاليا إلى ليبيا، وأعلنت الحرب فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١م، وفى الثالث من أكتوبر من نفس العام القيت أول قنبلة على ميناء طرابلس وبعد يومين كانت طرابلس وضواحيها خاضعة لإيطاليا^(١). وبعد أن أخضعت برقه وطرابلس توغلت جنوباً إلى الكفرة وفزان^(٢). ولما كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى مرحلة من الضعف لا تقوى معها على الدفاع عن ليبيا، بعدما أنهكت فى حرب البلقان فقد اضطرت تركيا تنفيذاً للبنود السرية لمعاهدة لوزان التى عقدت بين تركيا وإيطاليا سنة ١٩١٢م إلى منح ليبيا الإستقلال التام عن الدولة العثمانية^(٣). وعلى الرغم مما كان يصف به موسوليني ليبيا من أنها «صندوق للرمال» إلا أنها كان تمثل نقطة هامة فى المخطط الإيطالى الذى يرمى إلى مشروع إستعمارى يبدأ من ليبيا وينتهى عند اليمن ليصل بذلك بين إيطاليا ومستعمراتها الأفريقية فى إريتريا والصومال والحبشة، وبذلك يعود البحر المتوسط بحرًا إيطاليًا كما كان أيام الرومان، أو بحر الروم كما كان يسميه العرب، كما يصبح البحر الأحمر بحيرة إيطالية^(٤).



(١) كاكيا (أ.ج)؛ المرجع السابق - ص ٦٥.

(٢) جمال حمدان (د)؛ الإستعمار والتحرر فى العالم العربى. سلسلة المكتبة الثقافية. العدد ١٢٣ ديسمبر ١٩٦٤. ص ٤٧.

(٣) عيسى محمد صالحية (د) صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا. مجلة كلية الآداب جامعة الكويت - العدد الأول ١٩٨٠ - ص ٧.

(٤) جمال حمدان (د)؛ المرجع السابق - ص ص ٤٧ - ٤٨.

عند حديث القزوينى عن طرابلس فى القرنه ٨٧هـ / ١٣ ذكر بأنها «مدينة على شاطئ بحر الروم». انظر: آثار البلاد وأخبار العباد - ص ٨ - ٤.

الآثار القديمة بمدينة طرابلس

عثر في مناطق باب بن غشير وأبي ستة وقرجي وشارع بن عاشور على مقابر بونيقية وهى عبارج عن حجرات صغيرة مربعة المسقط تؤدي إليها فتحة باب تغلق بقطعة من الحجر.

وكانت العادة أن يوضع مع الميت أدوات الحياة اليومية التي كان يستعملها أثناء حياته، لذلك أمدتنا هذه المقابر بعدد كبير من التحف التطبيقية مثل أدوات وأواني الطعام، وأدوات الإضاءة، ومواد وأدوات الزينة والتطيب مثل الدبايس والمراور والمرايا والحلى وقنينات العطور، وغيرها.

كما عثر في داخل مدينة طرابلس القديمة وفي منطقة قرقارش وسيدى المصرى على مقابر من الطراز البونيقى الرومانى. وهى وإن كانت مشابهة من حيث التخطيط المعمارى للمقابر البونيقية إلا أن طريقة الدفن قد اختلفت وأصبحت تتمثل فى حرق جثث الموتى والإحتفاظ برمادها فى أواني من الفخار أو الزجاج أو الرخام أو الحجر أو الرصاص، تشكل بأشكال مختلفة^(١).

ومن أهم الآثار القديمة القائمة بمدينة طرابلس قوس ماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠م) ومن المعلوم إن إقامة أقواس النصر كان مظهرًا من مظاهر الأبهة والفخار إذ أنها تسجل لمناسبة من المناسبات أو حدثًا هامًا وقع فى عهد أحد أباطرة الرومان، لذلك كان تعرف بأقواس أنبصر لأنها إرتبطت بالإنتصارات فى المعارك. وقد حرص الرومان على وضع هذه الأقواس فى مداخل المدن لتكون أو ما يصادف زائر المدينة.

(١) أنظر: محمود التمسى: دليل منطقة حقائر جنزور الأثرية - منشورات مصلحة الآثار الليبية - طرابلس - بدون تاريخ. ص ص ١٤ - ١٩.

ويعتبر قوس ماركوس أوريليوس فى طرابلس من الأقواس الفخمة، لأن معظم أقواس النصر الرومانية كانت عبارة عن فتحة أو مدخل كبير على جانبيه فتحتين أقل إتساعاً، إلا أننا نجد أن هذا القوس يشتمل على أربعة مداخل بحيث يقطعه الداخل إلى المدينة من أى إتجاه، وهى ميزة قلما وجدت فى أقواس النصر الرومانية فى مدن شمال أفريقيا إلا فى مدينة لبة اللبية أيضاً التى تشتمل على أربعة أقواس من هذا النوع، منها القوس الذى أقامه ماركوس أوريليوس بها، وتبقت بعض أجزائه، إلا أنه من المرجح أنه كان على نفس نمط القوس الموجود بطرابلس الذى كان هو الآخر مختلفاً تحت الرمال حتى كشف عنه سنة ١٩١٢م، وتم ترميمه.

الوصف المعماري لقوس ماركوس أوريليوس:

يتكون من أربع واجهات يزيد طول كل من الواجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية قليلاً عن الواجهتين الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية. ويتوسط كل واجهة فتحة معقودة يعقد نصف دائرى على جانبيها فتحتان صغيرتان كانتا تخصصان لوضع التماثيل. وقد اختلفت الآراء حول الشكل الذى كان عليه الجزء الأعلى من القوس هل كان مغطى بقبة أم ببرج يعلوه عربة تجرها الخيول وعليها تمثال الإمبراطور ماركوس أوريليوس. ومن أصحاب رأى الأول العالم الأثارى الإيطالى «سالفاتورى أوريجميا» الذى إعتمد فى رأيه على الرسومات القديمة لمدينة طرابلس والتى ترجع إلى فترة الإحتلال الأسبانى (١٥١٠ - ١٥٣٠م) وفترة الوجود التركى بطرابلس إعتباراً من سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م وعلى وصف الرحالة العبدى الذى زار طرابلس سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م، وكذلك وصف الرحالة التجانى الذى أقام فى طرابلس من سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٧م إلى سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٩م، الذى ذكر أيضاً أن القوس تحول فى عهده إلى مسجد. أما أصحاب رأى الآخر فأنهم يعتمدون على مقارنة القوس بغيره من أقواس النصر الرومانية^(١).

(١) انظر تفنيدياً لهذه الآراء فى مقال: محمد على عيسى: هل تحول قوس ماركوس أوريليوس بطرابلس إلى مسجد فى العصور الوسطى. مجلة آثار العرب - طرابلس مصلحة الآثار - العدد الثانى - مارس ١٩٩١ - ص ٢٤ - ٣٣.

وتشتمل واجهات القوس على زخارف منحوتة تمثل أبو للوركب عربية يجرها أسدان مجنحان، وكذلك الإلهة «مينرفا» التي تركب عربية يجرها حيوانان خرافيان على شكل أبي الهول. (صورة ١).

ومن الطرائف التي أوردتها التجاني عن هذا القوس أن على أحجار الجهة الشمالية كانت توجد كتابة بخط رومي، وأن أبو البركان بن محمد بن أبي الدنيا الذي كان من أشهر علماء طرابلس، أخبره أن والده قد بحث عن من يترجم هذه الكتابات، فوجد أنه تبين أن في يوم تمام البناء أو الشروع فيه جاء الخبر من بلاد الشام أن نبياً من العرب ظهر في بلاد الحجاز وإسمه محمد بن عبد الله^(١).

وإن كانت هذه بعض أو أهم الآثار المكتشفة بمدينة طرابلس، فإن باطن المدينة مازال يحتفظ بالكثير من الآثار المطمورة، والتي تحول ظروف العمران الكشف عنها. حيث أن مدينة طرابلس ظلت مدينة عامرة منذ إنشائها، حيث توالى عليها العصور وأقيمت العمائر في نفس المكان الذي كانت تشغله مدينة طرابلس القديمة، مما جعل من الصعوبة بمكان الكشف عن كل الآثار القديمة بالمدينة. ولكن عند هدم بعض العمائر وإعادة تشييدها أو عند إجراء بعض أعمال الحفر، فإنه تكتشف آثار لمباني قديمة أسفل المباني الحالية، ومن ذلك مثلاً الحفائر التي أجرتها مصلحة الآثار الليبية بالمدفن الجنائزي الملحق بمدرسة عثمان باشا. ووجدت في أسفله معالم لبعض المباني القديمة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه كثيراً ما كان يستعان في بناء بعض المنشآت بقطع أثرية منزوعة من عمائر سابقة، فقد سجل الطبيب «جوناثان كودري» الذي بقى أسيراً في قلعة طرابلس من سنة ١٨٠٣م حتى سنة ١٨٠٥م يرمياته وملاحظاته عن مدينة طرابلس، ومن ضمنها أنه شاهد في صحن المنزل الذي يسكنه الضباط الأمريكيين الأسرى تسعة أعمدة من الرخام، كما يوجد في العديد من المنازل أعمدة إغريقية ورومانية دون معرفة قيمتها أو تقديرها^(٢).

(١) التجاني (أبو محمد عبد الله): الرحلة - ص ٢٥١.

(٢) مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي: يوميات الطبيب جوناثان كودري في قلعة طرابلس الغرب - ١٨٠٣ - ١٨٠٥م. ترجمة وتعليق د. عبد الكريم أبو شويرب. طرابلس ١٩٨٢. ص ٧٨.

العمارة الدينية فى طرابلس

مقدمة:

تتميز مدينة طرابلس بكثرة مساجدها، فقد أجمع معظم الرحالة الذين زاروا المدينة فى عصور مختلفة أن «مساجد البلد لا تحصى كثرة وتكاد تناهز الدور عدة». إلا أن هذه المساجد قد هدمت أو أعيد بناؤها، أو جددت، نتيجة لما أصابها من دمار على أثر سقوط المدينة أكثر من مرة تحت الحكم الأجنبى من قبل بعض الدول الأوربية، ومن ذلك على سبيل المثال - ما تعرض له جامع الناقية، الذى يرجع إلى العصر الفاطمى - من تقويض على أيدى الأسباب عندما تمكنوا من إحتلال طرابلس سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م.

لذلك فإن معظم المساجد الباقية بمدينة طرابلس ترجع إلى فترة العصر العثمانى الأول، والعصر القرمانلى، والعصر العثمانى الثانى، وذلك لأن طرابلس كانت تشكل فى تلك الفترة قوة مهية الجانب، تسعى الدول الأوربية إلى كسب ودها، وعقد الإتفاقيات معها، بالإضافة إلى ما كان يرد إلى حكام طرابلس من مكاسب وغنائم نتيجة للنشاط البحرى للإسطول الطرابلسى، مما أدى بالتالى إلى الإهتمام بتشييد العماائر، أو إصلاح وترميم العماائر السابقة. وتشكل عماائر تلك الفترات مرحلة جديدة متميزة فى تطور فن العمارة والزخرفة فى طرابلس، وهوما ستتعرف عليه فى هذا الفصل من خلال عرض نماذج مختلفة من العماائر الدينية فى طرابلس من مساجد جامعة ومساجد صغيرة ومدارس والتعرف على النمط التخطيطى لكل منها، وأهم الوحدات والعناصر المعمارية التى تشتمل عليها، والمعالجات الزخرفية لكل منها، مع دراسة تحليلية لكل من هذه العناصر المعمارية والزخرفية لمعرفة أصولها ومظاهر التأثير فيها.

١. المساجد الجامعة.

- جامع درغوت باشا:

يقع بمحلة باب البحر، وتطل واجهاته الثلاث على كل من شارع جامع درغوت، ورنقة درغوت، وشارع الميناء. وقد أنشأه درغوت باشا الذى كان من أبرز ملاحى إسطنبول السلطان سليمان القانونى^(١). وفى سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م تمكن من فتح طرابلس وإنزاعها من إيدي فرسان القديس يوحنا، إلا أنه لم يكن أول وال عثمانى على طرابلس، حيث تولى مراد أغا ولاية طرابلس، إلى أن تم تولية درغوت باشا، وكان ذلك سنة ٩٦٠هـ / ١٥٥٣م^(٢). وقد إتخذ درغوت من طرابلس قاعدة لنشاطه البحرى فى البحر المتوسط إلى أن توفى سنة ٩٧٢هـ / ١٥٦٥م فى جزيرة مالطة التى يوجد بها مكان يطلق عليه حتى الآن «رأس درغوت» يعتقد أنه المكان الذى توفى فيه، إلا أنه دفن فى الضريح الملحق بجامعه فى طرابلس^(٣). وقد إهتم درغوت بتحسين مدينة طرابلس، كما بنى قصرًا ليقيم فيه، وأنشأ الجامع الذى نتاوله بالدراسة.

الوصف المعماري للجامع:

نتيجة للإضافات التى طرأت على الجامع فقد أصبح شكله الخارجى غير منتظم الأضلاع، كما أصبح بيت الصلاة على شكل حرف T. وأتبع فى تخطيطه الإسلوب الشائع فى عمارة المسجد اللبى فى العصر العثمانى الأول، والتى كانت بدايتها الحقيقية فى هذا الجامع، وذلك من حيث تقسيم بيت الصلاة بواسطة بوائك من العقود التى تمتد موازية ومتعامدة على جدار القبلة، وترتكز على أعمدة، إلى بلاطات مربعة يغطى كل منها قبة نصف كروية. وتقسّم البائكات بيت الصلاة إلى ٣٢ بلاطة مربعة مغطاة بقباب (شكل ١).

(١) حسين ليب: تاريخ الأتراك العثمانيين. الجزء الثانى - القاهرة - ١٩١٧ - ص ٨٧.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: تاريخ الفتح العربى لليبيا. ص ٢٧٢.

(٣) ابن غلبون (أبو عبد الله محمد)؛ التذكار. ص ٩٨.

ويتميز جامع درغوت بأن محرايه مغطى ببلاطات خزفية حديثة الصنع، وذلك لأن هذا الجزء م البناء قد أضيف للجامع فى تاريخ لاحق، ويبدو أن المحراب الأصلى للجامع كان مغطى أيضاً ببلاطات من القاشانى، يستدل على ذلك من المحراب القديم والذى يوجد فى السقيفة التى تتقدم بيت الصلاة فى الجهة المقابلة للقبلة، حيث أنه مغطى ببلاطات خزفية مجلوبة من تونس، وتشتمل على زخارف نباتية موضوعة داخل أشكال معقودة. ويتضح فى زخارف هذه البلاطات التأثير بالفن العثمانى فى استخدام الأوراق المستنة وأزهار القرنفل وزهرة اللالة، مع استخدام بعض العناصر الشائعة فى المنتجات الخزفية التونسية فى العصر العثمانى، والتى تظهر فى عمائر تونس فى العصر العثمانى مثل جامع يوسف داي، والبلاطات الخزفية بالجامع الجديد بتونس (صورة ٢).

والمنبر الموجود بالجامع ليس أصيلاً، وإنما مضاف فى تاريخ حديث.

وللجامع مئذنة تعد أقدم المآذن العثمانية الباقية بمدينة طرابلس، إذ ينسب بناؤها إلى إسكندر باشا، وذلك فى سنة ١٠١٣هـ / ١٦٤٠م (صورة ٣) وتتكون من قاعدة مربعة يتركز عليها بدن إسطوانى فى طابقين تفصل بينهما شرفة مستديرة، ويتوج المئذنة قمة مخروطية مدببة. ويخلو بدن المئذنة من أى زخارف، ولكن كانت مثبتة عليه مزولة لتحديد أوقات الصلاة، والإشارة إلى ذلك إلى بقية مآذن المدينة عن طريق رفع راية على المئذنة عندما يحين وقت كل صلاة. وقد سارت مآذن طرابلس خلال العصر العثمانى على هذا الطراز الإسطوانى للمآذن مثل مئذنة جامع سيدى سالم المشاط (صورة ٦) ومئذنة مسجد محمود، ومئذنة جامع خليل باشا (صورة ١١) ولم يخرج عن ذلك إلا جامع محمد باشا شائب العين التى إتخذت الشكل المثلث، وسأذكر هذا الشكل المثلث فى العصر القرمانلى والعصر العثمانى الثانى.

ويلحق بالجامع عدة ملحقات من أهمها حجرة الشعرة النبوية الشريفة التى يحتفظ فيها بشعرة من شعر الرسول (ص). كما يلحق بالجامع أربعة أضرحة

وثلاثة مدافن، أهمها الضريح الذى يضم رفاة درغوت باشا ومجموعة من أفراد أسرته وبعض حكام مدينة طرابلس من العثمانيين، ويقع هذا الضريح خلف جدار القبلة، وهو عبارة عن حجرة مربعة مغطاة بقبة نصف كروية محمولة على ثلاث كروية مقلوبة. ومن الجدير بالذكر أن ضريح درغوت يحظى باهتمام العثمانيين لما كان لدرغوت من دور بارز فى حركة الفتح العثمانى، وتقوم السفارة التركية بطرابلس بتجديد كسوة الضريح سنوياً.

ومن الأضرحة الهامة بجامع درغوت ضريح محمد باشا الساقزلى. ويوجد باب الضريح فى الواجهة التى تطل على شارع الميناء. وهو أيضاً عبارة عن حجرة مربعة مغطاة بقبة نصف كروية، ويوجد على مدخلها لوحة تشير إلى إسم محمد باشا الساقزلى. كما يوجد مدفن فى الفناء الخلفى للجامع حيث كان هذا المكان مخصصاً لدفن الدايات والباشوات من حكام طرابلس حتى أنشأ عثمان باشا الساقزلى مدرسته بطرابلس، وخصص بها مدفنًا لأفراد الحامية العثمانية بطرابلس. ويعتبر وضع الضريح خلف جدار القبلة من الظواهر المعمارية التى استحدثت فى ذلك الجامع وصارت تقليدًا متبعًا فى عمارة العصر العثمانى الأول والعصور اللاحقة، حيث أصبح يدخل إلى الضريح من باب فى جدار القبلة. وفى ضريح درغوت باشا يوجد باب آخر من الفناء الخلفى للجامع. ومن أهم التجديدات التى طرأت على الجامع تجديد على بك للجامع سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م والمثبت على لوحة أعلى إحد مداخل بيت الصلاة فى الجهة الشمالية الغربية. كذلك جدد الجامع بعد الغارات التى حدثت أثناء الحرب العالمية الثانية، وأدت إلى تدمير أجزاء كبيرة من الجامع^(١). كذلك تم تجديد الجامع فى أواخر سنة ١٩٩٢م.

- جامع الناقية:

يقع بشارع الفينيقية بمدينة طرابلس القديمة. وقد اختلفت الآراء حول تاريخ

(١) للمزيد عن جامع درغوت، انظر:

صلاح أحمد البهنسى: العمارة الدينية فى طرابلس فى العصر العثمانى الأول - مخطوط رسالة دكتوراه - كلية الآثار جامعة القاهرة - ١٩٩٤ - ص ٢٥ - ٣٧.

بناؤه، ويعتقد البعض أن أصل البناء كان بعد فتح عمرو بن العاص لطرابلس^(١). بينما يذهب البعض أن العبيدين بنوه بعد تأسيسهم لاولتهم في إفريقية (تونس)، في حين يرى فريق آخر أنه بنى عندما زار المعز الفاطمي طرابلس وهو في طريقه إلى مصر، حيث بركت ناقته في هذا المكان فأعطى أهلها كمية كبيرة من الدنانير ليبنى بها جامع في نفس المكان.

ولكن البناء الأصلي للجامع لم يبق منه إلا آثار قليلة جداً، وذلك لأنه هدم بعد هجوم الأسبان على طرابلس سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م^(٢). وتم تجديد الجامع على أيدي حاكم طرابلس العثماني «صفر داي» وذلك سنة ١٠١٩هـ / ١٦٦٠م، كما تشير إلى ذلك لوحة التجديد المثبتة على أحد الأبواب بواجهة الجامع (شكل ٢). وصفر داي هو أول من تلقب بلقب داي من الحكام العثمانيين لطرابلس، وذلك لأنه لم يعين من قبل السلطان العثماني ويحصل على لقب باشا، أو أمير ميران، كما كان متبعاً، وإنما تم تعيينه عن طريق الحماية الإنكشارية في طرابلس لذلك لقب بلقب «داي».

الوصف المعماري للجامع:

يتكون الجامع من بيت صلاة على شكل مستطيل تتخلل جدرانه خمس فتحات أبواب تختلف في إتساعها وفي أشكال العقود التي تتوجها، كما تتخلل جدار بيت الصلاة سبع فتحات نوافذ معقودة بعقود مستقيمة. أما من الداخل فإن بيت الصلاة مقسم بواسطة بائكات إلى سبعة أروقة موازية لجدار القبلة، وسبعة أروقة متعامدة على جدار القبلة، وذلك بواسطة ست بوائك من العقود الموازية والمتعامدة على جدار القبلة يتكون كل منها من سبعة عقود مختلفة

Revoira (G.T); Muslim architecture. its Origins and Development. Oxford. 1981. P. (١)

174.

(٢) ميانا (غاسبري): للمعمار الإسلامي في ليبيا. ترجمة على الصادق حسنين - طرابلس ١٩٧٢ - ص ص ١٦٥ - ١٦٦. (وثنية قصة الناقة هذه ما ورد عن مسجد الرسول (ص) بالمدينة حيث اختط في المكان الذي بركت فيه ناقته للمسجد، أنظر: أحمد فكري: عوامل الوحدة في الآثار الإسلامية في البلاد العربية - المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية - القاهرة - ١٩٦١ ص ٢٦٩.

الأشكال كما تختلف أحجام وأشكال الأعمدة التي تركز عليها هذه العقود، وكذلك تيجان الأعمدة. ويغطي بيت الصلاة إثنًا وأربعون قبة نصف كروية محمولة على مثلثات كروية مقبوبة، بينما يغطي الرواق الأخير قبة طولية (شكل ٣). ويتوسط المحراب جدار القبلة وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد نصف دائري يركز على عمودين، وإلى يمين المحراب توجد حنية أخرى أقل إتساعًا وعمقًا عن حنية المحراب، ولكنها أكثر إرتفاعًا. ويعتقد بعض الباحثين أن هذه الحنية كانت المحراب الأصلي للجوامع. ولكنى لا أتفق مع هذا الرأي، ولكنها كانت مكان المنبر، وذلك لأن المحراب الحالى يقابل باب الدخول وعلى نفس محوره كما هو متبع فى عمارة المساجد. ويتقدم بين الصلاة من الجهة الجنوبية الغربية صحن أوسط مكشوف على شكل مستطيل تتوسطه بركة ماء، ويحيط به أربع ظلات تتكون كل منها من رواق واحد، بينما جهة القبلة كانت من رواقين، هدم أحدهما فى أثناء الحرب العالمية الثانية، فأصبح من رواق واحد (شكل ٣) وتلاصق المئذنة الجدار الشمالى الشرقى لبيت الصلاة، ويدخل إليها من داخل بيت الصلاة، وهو أمر غير مألوف فى مساجد مدينة طرابلس إلا فى المآذن السلم التى توجد فى المساجد الصغيرة. ومئذنة جامع الناقعة من نوع المآذن المربعة، تلتف حول بدنها من الخارج ثلاثة إطارات بارزة تقسم البدن إلى أربعة أقسام تختلف فى إرتفاعها. وينتهى البدن بشرفة تنتهى بشرفات (صورة ٤).

ومن الجدير بالذكر أن طرابلس عرفت غطتين من المآذن المربعة، يتميز أولهما بمحاكاة مآذن غرب العالم الإسلامى من حيث التكوين المعمارى، بينما يتسم الثانى بالبساطة سواء كان من حيث التكوين المعمارى أو إهمال الجانب الزخرفى. وتنتمى مئذنة جامع الناقعة إلى النمط الثانى، ومن أمثله فى عمائر مدينة طرابلس مئذنة مسجد الكتانى، ومئذنة مسجد سيدى عطية (الفلاح) ومئذنة مسجد بن صابر، كما كانت مئذنة مسجد مولاي محمد التى هدمت سنة ١٩٦٨م على نفس النمط.

وإذا كان طراز المآذن المربعة قد ظهر وأستعمل فى عمائر بلاد الشام، فقد ذكر

المقدسى الذى زار سوريا سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م أن مآذنها تبنى على النمط المربع^(١). وقد تبتت نماذج منها ترجع إلى عصور مختلفة مثل مثذنة المسجد الجامع بحلب ٤٨٢هـ / ٨٩ - ١٠٩٠م، ومثذنة جامع الخضر ببصرى ٥٨٢هـ / ١١٣٤م ومثذنة العروس بجامع معرة النعمان ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، ومثذنة جامع الدباغة بحلب ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م. وظهرت نماذج له فى شمال العراق ومنها مثذنة جامع الرقا، ومثذنة المسجد الجامع ببحران^(٢).

لكن هذا النمط من المآذن المربعة أصبح أكثر إنتشاراً فى غرب العالم الإسلامى حيث أصبحت مثذنة جامع عقبة بن نافع بالقيروان نموذجاً سارت على نهجه المآذن فى المغرب والأندلس^(٣). وإذا كان المعمار الليبى قد إقتبس طراز المآذن المربعة من عمارة غرب العالم الإسلامى، إلا أنه لا يلبث أن أضفى على هذا الشكل طابعاً ليبيّاً يتميز بالبساطة فى التكوين المعمارى، والخلو من الزخارف.

- جامع سيدى سالم المشاط:

أنشأ هذا الجامع رمضان بن عثمان بن ريس، الذى تولى والده حكم طرابلس لفترة وجيزة وذلك سنة ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م ولكن الجامع ينسب إلى سيدى سالم المشاط الذى توفى سنة ٨٩٩هـ / ١٤٨٤م^(٤) وقد ورد ذكر ضريح ومسجد سيدى سالم فى كتابات العديد من الرحالة، ومنهم العياشى الذى زار طرابلس سنة ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م وذكر «وكان فيها فيما مضى مزارات كثيرة لكثير من أكابر الصالحين، ولا يعرف منهم الآن إلا قليل كسيدى سالم المشاط صاحب المسجد الجامع الذى بأقصى المدينة وقبره يزار»^(٥). كما ذكر عبد السلام بن عثمان (ت سنة ١١٠٩) المقدسى (أبو عبد الله محمد البشارى)؛ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. ط ٢. ليدن ١٩٠٩ - ص ٧٥.

Creswell, (K.A.C); The evolution of the minaret. (Burling tin magazine. Mars. (٢) June 1926). P. 7.

(٣) أحمد فكري (د)؛ المسجد الجامع بالقيروان - القاهرة - ١٩٣٦. ص ١١٠.

(٤) أحمد الأنصارى النائب: نفحات النسر والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان. ط ١. بيروت - ١٩٦٣. ص ١٨٠، أحمد الأنصارى النائب: التمهيل. ص ١٤٨.

(٥) العياشى (عبد الله بن محمد)؛ الرحلة - ص ٦٥.

١١٣٩هـ / ١٧٢٦م) ضريح سالم المشاط، وقال «وقبره بداخل سور المدينة، مما يلي سور البحر قريب منه مشهور»^(١) كما ذكره المنالي في رحلته إلى طرابلس سنة ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م عند حديثه عن مزارات طرابلس، فقال «ومنهم سيدى سالم المشاط صاحب المسجد الجامع الذى بأقصى المدينة»^(٢).

يقع الجامع فى الجانب الشمالى الغربى من مدينة طرابلس القديمة فى منطقة القبة، فى مكان مرتفع عن سطح البحر بحوالى ١٧م.

الوصف المعماري للجامع:

يشغل مبنى الجامع مساحة غير منتظمة الأبعاد نتيجة للإضافات والتعديلات التى حدثت على الجامع فى فترات متعاقبة (شكل ٤) ويشتمل على المسجد القديم الذى بنى فى أثناء حياة سيدى سالم المشاط فى القرن ٩هـ / ١٥م، وهو عبارة عن مساحة ضيقة لكنها تصبح أكثر ضيقاً فى أحد جانبيها، وتقسمه ١٠ بائكة من عقدين نصف دائريين يرتكزان على عمود أوسط إلى ثلاثة أقسام. ويتوسط الجدار الجنوبى الشرقى من المسجد حنية محراب معقودة بعقد نصف دائرى. وفى الركن الجنوبى الغربى من المسجد توجد حجرة ضيقة بها فتحة ضيقة بالسقف، ويعتقد أنها الخلوة التى كان ينقطع بها سيدى سالم المشاط للتعبد. وتوجد فى مساحة المسجد القديم هذا ثلاث تراكيب قبور، تخلو من الشواهد، ولكن يعتقد أنها لبعض أفراد عائلة سيدى سالم أو بعض أتباعه.

أما المسجد الحالى فإنه عبارة عن مساحة مستطيلة، يدخل إليها من فتحته باب فى المسجد القديم. وينقسم بيت الصلاة إلى ثلاثة أروقة موازية لجدار القبلة، ورواقين عموديين على جدار القبلة، وبالتالي فإن مساحة بيت الصلاة تنقسم إلى ستة أقسام صغيرة مربعة يغطى كل منها قبة نصف دائرية ترتكز على حنايا

(١) الفيتورى (عبد السلام بن عثمان)؛ كتاب الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات. طرابلس - بدون تاريخ - ص ١٤.

(٢) على فهمى خشيم (د)؛ الحاجة من ثلاث رحلات فى البلاد الليبية. ط ١ - طرابلس ١٩٧٤. ص ص ١٣٠ - ١٣١.

ركنية معقودة بعقد نصف دائرية (شكل ٤) ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد نصف دائري يرتكز على عمودين مندمجين بالجدار، وتبرز كتلة المحراب عن سمت الحائط حيث ترتكز عليها رجل العقد الممتد متعامد على جدار القبلة، كما هو متبع في العديد من المساجد الصغيرة في طرابلس. ويقابل المحراب سدة خشبية يصعد إليها من داخل بيت الصلاة، ومن المرجح أنها مضافة حديثاً إلى المسجد، وكذلك المنبر الخشبي.

وفي الجانب الشمالي الغربي من بيت الصلاة يوجد ضريح سيدى سالم المشاط، وتخطيط الضريح على شكل متقاطع، حيث توجد مساحة مربعة وسطى تضم قبر سيدى سالم المشاط، وتغطي هذه المساحة قبة نصف كروية، وعلى كل جانب من جوانب المساحة الوسطى دخلة صغيرة (سدلة). وتتميز قبة ضريح سيدى سالم المشاط عن قباب عمائر طرابلس بأن رقبة القبة تظهر من الخارج، وهى عبارة عن مربع أوجهه مقعرة وليست مستقيمة أو مسطحة كما تتوسط كل ضلع فتحة نافذة (صورة ٥). أما السدلات الجانبية فإنها كانت مخصصة للجلوس أتباع سيدى سالم المشاط لقراءة الأوراد والأذكار الدينية.

وفي الجانب الجنوبي من بيت الصلاة يوجد ضريح المنشي «رمضان بن عثمان بن ريس» ويؤدى إليه إيوان معقود على كل جانب من جوانبه مصطبة، وأعتقد أن هذا الإيوان كان يستعمل ككتاب لتعليم الصبية. أما حجرة الضريح فإنها مربعة ومغطاة بقبة نصف كروية ترتكز على حنايا ركنية معقودة بعقود قوسية، وقد رخرفت أضلاع مثنى منطقة الإنتقال زخارف جصية عبارة عن أشكال بوائك من العقود الصماء. وهذا النوع من الزخارف شاع في زخرفة العمائر الدينية والمدنية في العصر العثماني الأول، وانتقل إلى عمائر العصر القرمانيلى والعصر العثماني الثانى وكان أول ظهورها فى ضريح عثمان باشا الساقزلى (١٠٦٤هـ / ١٦٥٣م) ثم الضريح الخاص برمضان بن عثمان بن ريس، ثم جامع خليل باشا (١١٢٠هـ / ١٧٠٨م)، وفي العصر القرمانيلى فى جامع أحمد باشا (١١٥٠هـ / ١٧٣٨م)، وفى مسجد عمورة محمد فلمنك (١١٧٤هـ / ١٧٦٠م)، وفى مقبرة

القرمانليين (ق ١٢هـ / ١٨م) وفي المنازل في العصر القرمانلى والعصر العثمانى الثانى، ومن أوضح أمثلتها فى «فيلا فولبى» التى شيدت فى أواخر العصر القرمانلى. وهذا النوع من الزخارف إن كان قد إنتقل إلى طرابلس من بلاد المغرب الإسلامى، إلا أن تنفيذه إقتصر على الزخارف الجصية القالبية، فى حين نفذ فى بلاد المغرب والأندلس على الحجر والرخام، كما نفذ فى زخرفة الأجزاء السفلى من بواطن المحاريب فى العمارة المملوكية بمصر وبلاد الشام.

وفى الركن الشمالى الغربى من المبنى وإلى جانب المدخل الرئيسى توجد المئذنة وهى وإن كانت على نفس نمط مآذن العصر العثمانى الأول فى طرابلس حيث أنها من قاعدة مربعة يعلوها بدن إسطوانى تتخلله شرفة واحدة، وينتهى البدن بقمة مخروطية مدببة من ستة أوجه، (صورة ٦) إلا أنها تتميز بالقصر، إذ أن إرتفاعها الكلى لا يتجاوز خمسة عشر متراً، فى حين نجد أن المآذن التى ترجع إلى نفس العصر مثل مئذنة مسجد درغوت، ومئذنة مسجد محمود، ومئذنة جامع شائب العين، ومئذنة جامع خليل باشا، تتسم جميعها بالإرتفاع (الصور ٣، ٩، ١١، ١٢، ١٨).

- جامع شائب العين:

أنشأه محمد باشا شائب العين الذى تولى حكم طرابلس فى الفترة من سنة ١٠٩٩هـ / ١٦٨٧م حتى سنة ١١١٢هـ / ١٧٠١م حيث أطيح به فتوجه إلى مصر^(١)، لكنه عاد إلى طرابلس بعد أن تولى صهره خليل باشا الحكم سنة (١١١٤هـ / ١٧٠٢م)، وبقي بها إلى أن توفى فى شهر رجب سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٦م كما يشير شاهد القبر الخاص به، وليس سنة ١١١٦هـ / ١٧٠٤م كما ذكرت بعض المراجع^(٢).

(١) ابن غلبون (أبو عبد الله محمد)؛ المرجع السابق - ص ١٥١.

- أحمد الأنصارى النائب: المنهل - ص ٢٨٦، روسى (ليتورى)؛ المرجع السابق - ص ٢٨٦.

- مجموعة: ليبيا. تاريخنا - الكتاب الخامس - ص ٥٧.

(٢) ميكائى (رودلفو)؛ المرجع السابق ص ٦ - ٧، مجموعة: المرجع السابق - ص ٥٧.

وكان الإهتمام بعمران مدينة طرابلس من أكثر إهتماماته، حيث قام بإصلاح وتحصين أسوار وقلعة المدينة، كما جدد بناء سوق الترك وسوق الحرير، إلا أن من أهم إنجازاته المعمارية إنشاء هذا الجامع، الذى يعد من أهم العمائر العثمانية فى مدينة طرابلس وقد شيد الجامع سنة ١١١٠هـ / ٩٨ - ١٦٩٩م على أيدي ثقته قارباق التونسى^(١). وعلى الرغم من إصلاحاته العديدة إلا أنه قد أضر ببعض الآثار الليبية القديمة، وذلك عندما وقع إتفاقية مع فرنسا سنة ١٦٩٣م، أتاحت لها نقل الأعمدة الأثرية من مدينة لبدو وغيرها إلى فرنسا، وقد أستعملت هذه الأعمدة فى بناء قصر فرساي وكنيسة سان جرمان فى باريس^(٢).

يقع الجامع فى الجهة الشمالية من سوق الترك شمال مدينة طرابلس القديمة، كما تظل الواجهة الشمالية الغربية على سوق الحرير، كما يطل المدخل الجنوبى الشرقى على زقة شائب العين.

الوصف المعماري للجامع:

يبدو الشكل العام بصورة غير منتظمة سواء كان ذلك من الخارج، وذلك نظراً لأن الحوائث التى توجد فى الجدران الخارجية للجامع تقطع إمتداد الواجهات، أو من الداخل نظراً للإضافات والتعديلات التى حدثت فى فترات لاحقة لتاريخ إنشاء الجامع، ومن ذلك الإضافات التى ألحقت، ببيت الصلاة فى كل من الجهات الشمالية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، ودورات المياه الى أضيفت فى الجهة الشمالية الشرقية.

وتعتبر الواجهة الجنوبية الغربية التى تطل على سوق الترك هى الواجهة الرئيسية للجامع، وتدخلها فتحتى باب تؤديان إلى الجامع، ويعلم أحد هذين المدخلين اللوحة التأسيسية التى تشتمل على تاريخ بناء الجامع سنة ١١١٠هـ. ويظهر الإهتمام واضحاً بالجانب الزخرفى فى هذه الواجهة، ويتمثل فى إحاطة

(١) ابن غليون: المرجع السابق. ص ١٥٤.

(٢) روسى (إيتورى): المرجع السابق - ص ٢٥٩، Wright (J); OP. cit. P. 56.

فتحات الأبواب والنوافذ بأطر من الرخام المزخرف بزخارف نباتية وهندسية محفورة (صورة ٧) أو فى نكسية الجدران ببلاطات الزليج (القاشانى). (صورة ٨).

أما بيت الصلاة فإنه عبارة عن مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٧م تنقسم بواسطة ثلاث بوائك من العقود تمتد موازية ومثلها متعامدة على جدار القبلة إلى أربعة أروقة موازية، وأربعة أروقة متعامدة على جدار القبلة، ينتج عنها ست عشرة مساحة مربعة يغطى كل منها قبة نصف كروية (شكل ٥).

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد على شكل حدوة الفرس يتركز على عمودين، وقد زخرفت صنجات العقد بأشكال وريدات متعددة الفصوص حول هلال أوسط بينما يزخرف باطن المحراب أشكال هندسية من أشكال عقود وأهلة ونجوم خماسية بالإضافة إلى شريط كتابى.

ويضم بيت الصلاة منبراً رخامياً قسمت ريشته بواسطة خطوط رخامية بارزة إلى جامات مربعة تشتمل على أشكال وريدات وأهلة ونجوم خماسية وسداسية ويقابل المحراب سدة (دكة المبلغ) من الخشب وترتكز على أعمدة خشبية، ويصعد إليها من فتحتى باب فى الجدار الشمالى الغربى لبيت الصلاة.

ومن الظواهر المعمارية المستحدثة فى تكوين بيت الصلاة وجود زيادتين فى كل من الجهة الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، وتكون هاتان الزيادتان مع دكة المبلغ شرفة (محفل) يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات فيما عدا جهة القبلة فى الجزء الأعلى من بيت الصلاة.

ويُدخل من فتحة باب فى الطرف الشرقى لجدار القبلة إلى ضريح محمد باش شائب العين، وهو عبارة عن حجرة مربعة تضم سبع تركيبات رخامية بالإضافة إلى التركيبة الرخامية التى تغطى قبر محمد باشا والتى تتميز عن البقية بأنها تنتهى من أعلى بشكل عمامة، وهى من السمات التى تميز كبار الشخصيات فى

العصر العثماني. وتغطي الضريح قبة نصف كروية ترتكز على حنايا ركنية مقوسة.

وفى الناحية الشمالية من المنشأة إلى جانب المدخل الذى يوجد فى سوق الحرير توجد المئذنة وتتكون من قاعدة مربعة القطاع يرتكز عليها بدن مئمن يزخرف كل ضلع من أضلاعه شكل غائر معقود بعقد حدوة فرس، ويمتد هذا الشكل بطول كل ضلع، ويتهى هذا الطابق من المئذنة بشرفة من ثمانية أضلاع أيضاً، حيث يبدأ منها طابق آخر إسطوانى أقل إرتفاعاً من الطابق الأول، ويصل إرتفاعه ٢,٧٥م، ويتوج هذا الطابق قمة مخروطية من ستة أوجه. (صورة ٩).

وهذه المئذنة هى الوحيدة من مآذن العصر العثماني الأول فى طرابلس المئمنة البدن ولكنها أصبحت نموذجاً سارت على نهجه مآذن مساجد العصر القرمانيلى، ومن أمثلة ذلك مئذنة جامع أحمد باشا القرمانيلى، ومئذنة جامع قرجى، وكذلك فى العصر العثماني الثانى مثل مئذنة جامع ميزران، كما إستمر هذا النمط من المآذن فى ليبيا حتى فترة متأخرة ومن أمثلة ذلك جامع الباشا فى مدينة الخمس التى شيدها رجب باشا سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م^(١).

وإذا كانت أقدم نماذج المآذن المئمنة البدن الباقية فى ليبيا ترجع إلى العصر العثماني الأول، إلا أن هذا الطراز قد وجد قبل ذلك، فقد ذكر البكرى أن بمدينة إجدابيا جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبد الله له صومعة مئمنة بديعة العمل^(٢). وقد كشفت الحفائر التى أجريت بإجدابيا سنة ١٩٧١م عن أساس هذه المئذنة والتى تتكون من قاعدة مربعة يرتكز عليها البدن المئمن^(٣) الأمر الذى دفع «المحمودى» إلى إعتبار الطراز المئمن فى مآذن طرابلس فى العصر العثماني الأول وما تلاه طرازاً محلياً^(٤).

(١) مسعود رمضان شقلوف (وآخرون)؛ موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا. ج١ - ص ٢١٠.

(٢) البكرى (أبو عبيد الله)؛ المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب. ص ٥.

(٣) مروج بليك (وآخرون)؛ إجدابيا وأول فن المعمار للفاطمين. مجلة ليبيا القديمة. م ٨ - طرابلس ١٩٧١. ص ١٧.

(٤) Al - Mahmudy (A); Post fifteenth cen. A.D architecture in Lihya. P. 55.

والواقع أن هذا الطراز إذا كان قد ظهرت نماذج متفرقة له فى العمارة الليبية قبل العصر العثمانى، إلا أنه لم ينتشر إلا فى فترات الحكم العثمانى، مثلما عليه الحال فى العمارة الإسلامية فى تونس، حيث ظهر فيها لأول مرة فى فترة الوجود العثمانى، ومن أمثلة ذلك مئذنة جامع يوسف داي (١٠٢٥هـ / ١٦١٦م) والمئذنة التى أضيفت إلى جامع بن عروس بمدينة تونس (١٢هـ / ١٨م) وفى مئذنة جامع بن رباد، ومئذنة جامع الحلفاوين^(١).

ولما كان الطراز المثلث للمئذنة يرتبط ظهوره فى عمارة غرب العالم الإسلامى بالوجود العثمانى فإن وجوده فى العمارة الليبية، وإرتباط ظهوره بجامع شائب العين الذى عهد بينائه إلى مهندس تونسى - كما سبق ذكره - فإن ذلك يؤيد أن هذا النمط من المآذن ظهر فى العمارة الليبية بتأثير تونسى متأثر بدوره بالعمارة العثمانية.

- جامع خليل باشا:

شيد خليل باشا الذى اختلفت الآراء حول تاريخ توليه ولاية طرابلس الغرب، إلا أن أقربها إلى الصواب هو أنه تولى سنة ١١١٤هـ / ١٧٠٢م، وذلك إستناداً إلى ما ورد أنه أعاد صهره محمد باشا من مصر إلى طرابلس التى كان قد طرد منها، وكان ذلك سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م، أى أن مقاليد الأمور كانت بيديه فى تلك الفترة.

وقد واجه ثورات أهالى البلاد ضده حتى اضطر إلى الهرب إلى سرت، ثم إلى فزان ومنها إلى مصر حيث إستضافه إبراهيم بك حتى سافر إلى القسطنطينية^(٢)، فأرسله السلطان أحمد الثالث على رأس حملة بحرية لمقاومة حركة التمرد فى طرابلس، ولكن خليل باشا قتل ورفعت رأسه على حربة. إلى

(١) Thiersh (H); Pharos in Antike. Islam und Occident. Leipzig Berlin. 1909. PP. 135 - 136.

(٢) ابن غلبون (أبو عبد الله محمد) المرجع السابق - ص ١٥٩.

طرابلس حيث دفن بمقبرة سيدى حمودة، وهناك رأى أنه دفن بالقرب من صيراته^(١).

وكان خليل باشا أول من إتخذ الحجاب ولبس الحرير والذهب من حكام طرابلس، كما أنشأ «ضر بخانة» دارسك العملة^(٢). ومن أعماله أيضاً إصلاح ترسانة طرابلس، وإنشاء الجامع الذى نحن بصدد الحديث عنه.

ويقع المسجد فى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة طرابلس، خارج أسوار المدينة القديمة، وفى منطقة تعرف بـ «الظهرة» وذلك لإرتفاعها عن مستوى أرض المدينة^(٣).

الوصف المعماري للجامع:

يتفق المسجد من حيث التخطيط مع مساجد العصر العثمانى الأول، التى يكون أساس تخطيطها بيت الصلاة محاط بصحن مكشوف من أكثر من جهة، حيث تؤدى فتحة باب فى الجدار الشمالى الغربى إلى فناء مكشوف، ويقابل فتحة الباب سقيفة من أربعة عقود ترتكز على ثلاثة أعمدة، وتقدم هذه السقيفة بيت الصلاة (شكل ٦).

ويتكون بيت الصلاة من مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها من الخارج ١٩,٣٠م × ١٥,٢٥م. تتخللها ثلاث فتحات أبواب، إثنان فى الجهة الشمالية الغربية، وواحدة فى الجدار الشمالى الشرقى. ويعلو أحد الأبواب فى الجدار الشمالى الغربى لوحة تشتمل على النص التأسيسى الذى يشتمل على إسم خليل باشا، وتاريخ التأسيس سنة ١١٢٠هـ.

ويدعم جدار القبلة من الخارج وكذلك الجدار الجنوبى الغربى لبيت الصلاة ثلاث دعائم مائلة فى كل جانب (صورة ١٠).

(١) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ص ١٤ - ١٥.

(٢) أحمد الأنصارى النائب: المرجع السابق - ص ٢٩٤.

(٣) الطاهر أحمد الزواى: معجم البلدان الليبية. طرابلس - ١٩٦٨ - ص ٢٢٤.

أما بيت الصلاة من الداخل فإنه عبارة عن مساحة مستطيلة أبعادها ١٧,٦٠م × ١٣,٥٠م تنقسم بواسطة ثلاث بوائك من العقود إلى أربعة أروقة موازية لجدار القبلة، كما تمتد ثلاثة أروقة عمودية على جدار القبلة تفصل بينها باثنتين من العقود تتكون كل منها من أربعة عقود (شكل ٦). وقد نتج عن هذا التقسيم وجود إثنتا عشرة مساحة مربعة يغطي كل منها قبة نصف كروية ترتكز على حنايا ركنية معقودة بعقود قوسية.

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد نصف دائري يرتكز على عمودين من الرخام. وفي الجهة الشمالية من مبنى الجامع توجد المئذنة، وتختلف في طرازها عن مآذن مساجد طرابلس، وتتكون من قاعدة مربعة يعلوها بدن إسطواني ينتهي بشرفة لا تبرز عن سمت البدن ولكنها بنفس إتساعه. ويتوسط الشرفة جوسق مثنى، في كل ضلع من أضلاعه فتحة نافذة، إحداها فتحة باب، ويعلو هذا الجوسق المثنى مثنى آخر أقل منه في المساحة ترتكز عليه القمة الخشبية المدببة، والتي تتميز عن قمم مآذن مساجد مدينة طرابلس بإرتفاعها. (ص: ١١).

وهذه المئذنة وإن كانت تتفق مع مآذن مساجد مدينة طرابلس في بعض الخصائص مثل الشكل الإسطواني الذي وجد في مئذنة جامع درغوت، ومئذنة جامع سيدى مالم المشاط، ومئذنة مسجد محمود، وكذلك في خلو البدن من الزخارف إلا تغطية أجزاء بسيطة منه بالبلاطات الخزفية، وإشتغال المئذنة على شرفة واحدة فقط، والقمة المدببة المتأثرة بطراز المآذن العثمانية، إلا أن هذه المئذنة تنفرد ببعض الخصائص التي لا توجد في غيرها من مآذن ذلك العصر في طرابلس، ومن ذلك إتساع محيط البدن، وأن الشرفة جزء من البدن ولا تبرز عنه، وكذلك في وجود أكثر من فتحة نافذة في الجوسق الذى يعلو البدن، شبيهة في ذلك بما هو متبع في طراز المئذنة السلم التي يستعاض فيها بالفتحات لتوجيه الأذان بدلاً من الشرفة، ومن أمثلة ذلك مسجد بن سليمان. ومن مظاهر الإختلاف أيضاً أن قمم مآذن العصر العثماني الأول في طرابلس تتكون من قمة

من ستة أوجه قطاعها مدبب، بينما فى جامع خليل باشا فإن القمة مخروطية مدببة تتميز بإرتفاع واضح.

ومن المرجح أن هذه المئذنة كان لها دور دفاعى إلى جانب وظيفة الأذان، وذلك لإرتفاعها ووجودها فى مكان مرتفع فى المدينة تشرف منه على البحر والمدينة أيضاً مما يسهل مراقبة كل منهما من أعلى المئذنة، الأمر الآخر أن الجزء العلوى لا يشمل على فتحة باب فقط يخرج منها إلى الشرفة، كما هو المتبع فى كل مآذن مدينة طرابلس، ولكنها تشتمل على عدة فتحات فى مختلف الاتجاهات، وهذا الأمر موجود فى المآذن التى تؤدى دوراً دفاعياً مثل مئذنة رباط المنستير فى تونس، وكذلك منارة رباط سوسة^(١).

- جامع أحمد باشا القرمانلى:

يقع وسط مجموعة من أسواق مدينة طرابلس القديمة، فى الجهة الجنوبية الغربية من قلعة طرابلس (السراى الحمراء)، وتطل واجهة الجامع الشمالية الشرقية على سوق المشير، وتطل الواجهة الشمالية الغربية على سوق الرباع، وفى الجهة الجنوبية الشرقية يوجد سوق العطارة، وفى الناحية الجنوبية الغربية سوق النساء (صورة ١٢).

ويقال أن المكان الذى يشغله جامع أحمد باشا كان يضم من قبل مساكن جنود الإنكشارية من الترك ومكان إجتماعاتهم، كما كان يوجد بنفس المكان مسجد يعرف بمسجد الديوان^(٢).

وقد بنى الجامع أحمد باشا القرمانلى الذى إستطاع الإستقلال بحكم طرابلس إستقلالاً إسمياً عن الدولة العثمانية، وأسس الدولة القرمانلية التى إستمرت تحكم طرابلس من سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م وحتى سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م. وتشير اللوحات التأسيسية والكتابات التى تتوزع فى أجزاء كثيرة من الجامع، ومن

(1) Marc, ais (G); Manual. Tome. 1. P. 334.

(٢) ميكائى (رودلفر)؛ المرجع السابق - ص ٧٩.

أهمها اللوحة التى تعلو المدخل الرئيسى فى الجدار الشمالى الشرقى والمكتوبة بخط الثلث المغربى، وهى تلك اللوحة التى على المدخل فى الناحية المطلّة على سوق المشير أن الجامع أنشئ سنة ١١٤٩هـ / ٣٦ - ١٧٣٧م.

الوصف المعمارى للجامع:

يعد الجامع من أهم مساجد مدينة طرابلس ومن أكبرها مساحة، إذ يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها ٤٩×٥٣م. كما أنه يعد من أول نماذج المجمعات المعمارية فى العمارة الليبية، إذ أنه يضم إلى جانب بيت الصلاة مدرسة فى طابقين وضريح المنشئ ومدفن لأفراد أسرته وسبيل. كذلك فإن الجامع من أغنى مساجد طرابلس زخرفة حيث تزخرف جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج حتى إرتفاع مآخذ العقود بلاطات خزفية متنوعة فى زخارفها ومصادرهما، إذ أن بعضها مجلوب من تركيا، والبعض من تونس، والبعض أوربى الصنع (صورة ١٣).

ويعلو التكسية الخزفية زخارف جصية دقيقة من زخارف نباتية وهندسية وكتابات منفذة بطريقة «نقش حديد» الشائعة فى إعداد الزخارف الجصية فى عمائر مناطق شمال أفريقيا، وتمتد هذه الزخارف وتغطى الأجزاء العليا من جدران بيت الصلاة ومناطق إنتقال القباب وبوابتها.

ونظراً لهذا الثراء المعمارى والزخرفى الذى يتمتع به الجامع، فقد نال إعجاب كل من شاهده من الرحالة، فقد أثنت عليه «توللى» التى عاشت عشرة أعوام فى طرابلس. أما الرحالة أبو العباس أحمد بن محمد الفاسى الذى زار طرابلس سنة ١٢١٠هـ / ١٧٩٦م أى بعد بناء الجامع بما يزيد عن نصف قرن من الزمان، فقد ذكر أن الجامع «غاية لم ير مثله»^(١).

ويشغل بيت الصلاة مساحة مربعة طول ضلعها ٢٣م، تنقسم بواسطة أربع بوائك من العقود موازية لجدار القبلة، وأربع بوائك عمودية على جدار القبلة

(١) على فهمى خشيم (د)؛ الحاجة من ثلاث رحلات فى البلاد الليبية - ص ١٤٥.

إلى خمسة أروقة موازية وأخرى متعامدة على جدار القبلة، يتج عنها وجود خمس وعشرين مربعة يغطي كل منها قبة نصف كروية (شكل ٧).

وترتكز القباب على مناطق إنتقال مثنته تم الإنتقال إليها عن طريق مثلثات كروية مقلوبة فيما عدا القبة التي تغطي مربعة المحراب فإنها ترتكز على حنايا ركنية. وتتميز قبة المحراب والقبة التي تقابلها بأنهما أكثر إرتفاعاً عن بقية القباب، كما أنهما مصلعتان من الخارج بضلوع بارزة شبيهة بتضليعات القباب فى مدرسة عثمان باشا الساقزلى بطرابلس والتي ترجع إلى العصر العثماني الأول.

ويشتمل الجامع على محراب مجوف يكسو الجزء الأسفل منه بلاطات خزفية، أما الجزء الأعلى فإنه مغطى بزخارف جصية دقيقة عبارة عن أشكال نجمية متداخلة تشتمل على زخارف دقيقة، ويفصل بين الجزئين شريط كتابى يتضمن الآية الكريمة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله فتنين. (صورة ١٤).

أما المنبر فإنه من الرخام الملون الملبس بقطع من المرمر تكون زخارف نباتية منفذة حسب طراز الرومى التابع فى زخرفة المنتجات الفنية العثمانية، وتمتد هذه الزخارف على ريشتى المنبر، ويغطي الجوسق قبة معدنية مقامة على أربعة أعمدة.

ويحيط بالجزء العلوى من بيت الصلاة فوق تيجان الأعمدة من ثلاث جهات فيما عدا جدار القبلة شرفة خشبية يحيط بها سياج من برامق من الخشب المحرط (صورة ١٥). وهذا التقليد فى عمل الشرفة الداخلية (المحرط) وجد فى العديد من المساجد الجامعة فى بلدان المغرب إبان العصر العثماني، متأثرة فى ذلك بالعمارة العثمانية. ومن أمثلة مساجد شمال أفريقيا التي تشتمل على الشرفة الداخلية جامع بسنين فى الجزائر ١٠٣٣هـ / ١٦٢٣م، وجامع حمودة باشا بمدينة تونس ١٠٦٦هـ / ١٦٥٥م، وتعتبر شرفة جامع أحمد باشا لاحقة لهذه النماذج، كما أنها من العناصر التي أنشئت عند بناء الجامع وليست مضافة فى تاريخ لاحق

حيث أنها تشتمل على كتابة تشير إلى صانعها وهو الحاج محمد بن علي مراد الشريف، وتاريخ عملها في ربيع الثاني سنة ١١٥٠ هـ (أبريل ١٧٣٨ م)^(١).

المئذنة: تقع في الجدار الشمالي الشرقي على يمين المدخل الرئيسي، وتتكون من قاعدة مربعة يقوم عليها بدن مثنى يزخرف كل ضلع من أضلاعه أشكال مستطيلات معقودة تمتد بطول البدن، يعلو هذا الطابق شرفة مثنى تستند على كوابيل حجرية، وينتهي بدن المئذنة بقمة مخروطية مدببة من الخشب (صورة ١٢) ويوجد على المئذنة كتابة تتضمن تاريخ بنائها في سنة ١١٥٠ هـ / ١٧٣٨ م.

وهذه المئذنة وإن كانت مشابهة لمئذنة جامع شائب العين التي ترجع إلى نهاية العصر العثماني الأول، وذلك من حيث الشكل المثنى للبدن، وزخرفة البدن بأشكال معقودة إلا أن هذه المئذنة تختلف عنها في أن الشرفة تستند على كوابيل.

وفي الجهة الجنوبية الغربية من بيت الصلاة وخلف جدار القبلة توجد حجرتان، يغطي إحداهما قبة نصف كروية، وهي خاصة بضريح المنشىء. يتصل بها حجرة أخرى مغطاة بقبو متقاطع، مدفون فيها بعض أفراد الأسرة القرمانلية. ويغطي جدران هاتين الحجرتين بلاطات خزفية وزخارف جصية شبيهة بزخارف بيت الصلاة ومنفذة بنفس الأسلوب (نقش حديثة) (صورة ١٦).

ويلحق بالجامع مدرسة في طابقين تعد أقدم مثال باق للمدارس الملحقة بالمساجد في العمارة الليبية. وتحتل المدرسة الركن المحصور بين الضلع الشمالي الغربي والضلع الجنوبي الغربي من الصحن (شكل ٧). وتشبه هذه المدرسة في تخطيطها مدرسة عثمان باشا الساقرلى التي ستناولها لاحقاً، إلا أنها تتميز بأنها من طابقين^(٢).

El - Mahmoudy (A); OP. cit. P. 87. (١)

(٢) للمزيد عن جامع أحمد باشا، انظر:

- ميسانا (غاسيري)؛ المرجع السابق - ص ص ١٨٣ - ١٩٤.

- Warfilli (M.S); Tripoli. PP. 11 - 12.

- مسعود رمضان شقوف، وآخرون: المرجع السابق - ص ص ٩٨ - ١٠٧.

- جامع قورجى:

يقع بشارع الاكواش بمدينة طرابلس القديمة بالقرب من قوس ماركوس أوريليوس، وتطل واجهته الشمالية الشرقية على زقاق الزنقة الضيقة. وقد أنشأ هذا الجامع مصطفى قورجى قائد الأسطول الطرابلسى فى عهد يوسف باشا القرمانلى الذى كان صهراً له. وتم الإنشاء فى سنة ١٢٤٩هـ/ ٣٣ - ١٨٣٤م كما تدل على ذلك اللوحة التأسيسية التى تعلو المدخل الرئيسى للجامع.

وعلى الرغم من أن مصطفى قورجى لم يكن حاكماً لطرابلس، إلا أن عمارته لهذا الجامع فاقت عمارة الحكام السابقين له، فهذا الجامع يعد من أجمل مساجد مدينة طرابلس وأكثرها ثراء زخرفياً.

الوصف المعماري للجامع:

يمثل جامع قورجى جامع أحمد باشا فى عدة أشياء منها طراز التخطيط لبيت الصلاة وكسوة جدران بيت الصلاة بالبلاطات الخزفية والزخارف الجصية، وفى اخق مدرسة بالجامع مكونة من طابقين مشابهة فى تخطيطها لمدرسة جامع أحمد باشا (شكل ٨). ولكنه يختلف عن جامع أحمد باشا فى أنه لا يشتمل على مدفن وذلك لصغر مساحته. ويتكون بيت الصلاة من مساحة مربعة طول ضلعها ١٨م تنقسم بواسطة ثلاث بائكات من العقود التى تمتد موازية لجدار القبلة، وثلاث بائكات تمتد متعامدة على جدار القبلة إلى ست عشرة مساحة مربعة يغطى كل منها قبة نصف كروية محمولة على حنايا ركنية محارية الشكل ومزخرفة بزخارف جصية دقيقة (شكل ٨).

وتتكون البائكات من عقود نصف دائرية ترتكز على أعمدة من الرخام وتخرجها تيجان دورية الطراز تشتمل على عنصر البيضة والسهم.

وبين القباب التى تغطى بيت الصلاة أربع قباب أكثر ارتفاعاً وهى القبة التى تغطى بلاطة المحراب، والقبة التى تغطى بلاطة المنبر، وكذلك القبة التى تغطى البلاطة المواجهة لبلاطة المنبر، والقبة التى تغطى السدة الخشبية.

ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف يكسو الجزء السفلى منه بلاطات خزفية، بينما يشتمل الجزء الأعلى على رخارف جصية عبارة عن أشكال نجمية فى طاقة المحراب تخرج منها خطوط إشعاعية تشتمل على رخارف نباتية دقيقة حول أشكال زهور ملونة بالأحمر والأزرق وأشكال لمجوم خماسية صغيرة ملونة (صورة ١٧) ويتوج حنية المحراب عقد نصف دائرى يرتكز على أربعة أعمدة من الرخام.

ويواجه المحراب والمنبر الشرفة الخشبية الداخلية والتي تزخرفها أشكال بوائك من العقود الصماء ترتكز على أعمدة فى صفين يعلو أحدهما الآخر.

وتتشابه مثذنة جامع قورجى مع مثذنة جامع أحمد باشا القرماتلى فى عدة مظاهر، منها أنها تتكون من بدن مثنى تزخرف كل ضلع من أضلاعه شكل مستطيل معقود بعقد على شكل حدوة الفرس، وفى أن الطابق الأول من المثذنة يحده من أسفل وأعلى حشوات من بلاطات خزفية، وفى أن شرفتى المثذنة تستند على كوابيل حجرية. إلا أن مثذنة جامع قورجى تتميز بأنها أكثر ارتفاعاً عن مثذنة جامع أحمد باشا، كما أنها من أكثر مآذن مساجد مدينة طرابلس القديمة ارتفاعاً، وتنفرد مثذنة جامع قورجى بأنها الوحيدة بين مآذن طرابلس القديمة التى تشتمل على شرفتين للأذان وليست شرفة واحدة، والشرفة السفلى أكثر إتساعاً عن العليا، كما أن الشرفة السفلى مثنى بينما العليا من إثنى عشر ضلعاً (صورة ١٨).

ويعد جامع قورجى من أكثر جوامع مدينة طرابلس زخرفاً، ويتمثل ذلك فى عدة مظاهر، منها:

- الكسوة الخزفية التى تغطى جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج والتى تشتمل على عدة موضوعات زخرفية، من أهمها تصميم زخرفى عبارة عن عقد مدبب فى أعلى، وعقدين من شكل حدوة الفرس مدبب فى الجزء الأسفل، ويضم العقد الأعلى شكل مسجد مغطى بقبة مدببة القطاع ومزخرفة بزخارف نباتية، وعلى كل جانب من جوانب المسجد ترتفع خمس مآذن ويخرج من بعضها أشكال أعلام مرفرفة، أما العقدان فى الجزء الأسفل فأنهما يشتملان على رخارف نباتية متنوعة (صورة ١٩).

ومما يجدر ذكره أن مثل هذا التصميم فى البلاطات من الموضوعات الشائعة فى زخرفة العمائر التى ترجع إلى الفترة الأخيرة من العصر القرمانلى، حيث كانت تستخدم فى العمائر المدنية والدينية. وهذا النوع من البلاطات كان يستورد من تونس حيث كان يصنع فى القلاين ونابل، ووردت على بعضها توقيعات الصناع مثل «الخميرى» الذى يعد من أكثر صناع البلاطات الخزفية شهرة فى تلك الفترة.

ومن الزخارف التى تنتشر فى جامع قورجى الزخارف الجصية القديمة التى تغطى الأجزاء العليا من الجدران ومناطق إنتقال القباب وبواطن القباب أيضاً، ومن نماذجها تصميم عبارة عن أشكال من عقود ثلاثية الفصوص، تضم بداخلها تشكيلات هندسية من خطوط مجدولة، يخرج منها شكل عقد مدبب ينعقد فى أشكال خمسة معينات متقاطعة. ويفصل بين العقود أشكال قلبية تشتمل على زخارف مخرمة عبارة عن أشكال مثلثات صغيرة ودقيقة، ويملاً الفراغات بين هذه العناصر زخارف نباتية متشابكة (أرييسك) (صورة ٢٠).

ومن الزخارف المتميزة فى جامع قورجى الزخارف الرخامية المنفذة بالحفر والملبسة بقطع من الرخام الملون. ونجد أمثلة لها فى عضادات وعقود فتحات الأبواب وكوشات العقود، وتشتمل على زخارف نباتية من وريادات وأوراق من أنصاف مراوح نخيلية (صورة ٢١). ونجد مثل هذه الزخارف على ريشتى المنبر.

ويشتمل الجامع على زخارف منفذة بالطلاء على الخشب فى سقف السدة الخشبية، وهى عبارة عن أربعة مثمانات داخل بعضها، يضم الأصغر منها تصميم زخرفى عبارة عن شكل نجمى من ثمانى رؤوس، ويشغل الفراغ بين إضلاع المثمانات الأربعة زخارف هندسية ونباتية دقيقة (صورة ٢٢)، وتعد زخارف هذه السدة من أجمل نماذج الزخرفة على الخشب فى العمارة الليبية^(١).



(١) عن جامع قورجى، انظر

- Aurigemma (S); La Moschea di Curgi di Tripoli. (Africa Italiano. Bergamo - 1928).

- ميسانا (غاسبرى)؛ المرجع السابق - ص ص ١٩٥ - ١٩٨.
- مسعود رمضان شغلوف، وآخرون: المرجع السابق - ص ص ١٠٨ - ١١٢.

وإلى جانب بيت الصلاة والمدرسة فإن جامع قورجى يضم ضريحاً يعد من أجمل نماذج الأضرحة فى العمارة الإسلامية بطرابلس. وهو عبارة عن مساحة مربعة تقع فى الجانب الغربى من المنشأة، وخلف جدار القبلة، ويدخل إليها عن طريق نافذتين منخفضتين فى جدار القبلة تستعمل كأبواب. ويتميز الضريح بأنه مغطى بقبة مضلعة من ستة عشر ضلعاً، شبيهة فى ذلك بقباب مدرسة عثمان باشا الساقلى، وقباب جامع أحمد باشا القرمانيلى.

ونلاحظ فى جامع قورجى أنه جاء متمشياً مع الطراز المعماري المميز للعصر القرمانيلى، ومتأثراً فى كثير من عناصره المعمارية والزخرفية بجامع أحمد باشا القرمانيلى، إلا أنه جمع بين خليط من الطرز المعمارية والفنية التى يتضح فيها تأثره بالعمارة العثمانية، بالإضافة إلى ظهور العديد من مظاهر التأثير بالفنون الأوربية وبصفة خاصة فى الزخارف. وكانت مثل هذه التأثيرات قد ظهرت فى عمارة مدرسة عثمان باشا الساقلى، التى ترجع إلى النصف الثانى من القرن ١١هـ / ١٧م، إلا أنها أصبحت أكثر ظهوراً فى عمارة العصر القرمانيلى، نتيجة للصلات بين طرابلس وأوروبا.

٢- المساجد الصغيرة:

بالإضافة إلى المساجد الجامعة فإن مدينة طرابلس تضم عدداً كبيراً من المساجد الصغيرة التى ترجع إلى عصور مختلفة، وإن كان أغلبها يرجع إلى فترات الوجود العثمانى فى ليبيا، وذلك لأن يد الإصلاح والتجديد إمتدت إلى هذه المساجد وأكسبتها السمات المميزة لعمارة تلك الفترات. إلا أن ما ذكره التجانى الذى رار طرابلس فى العقد الأول من القرن ٨هـ / ١٤م، أى قبل العصر العثمانى، وعلى وجه التحديد فى العصر الحفصى، يدل على كثرة المساجد فى المدينة فى تلك الفترة، حيث قال «أن مساجد البلد لا تحصى كثرة وتكاد تناهز الدور عدة»^(١).

ومن أهم المساجد الصغيرة الباقية بمدينة طرابلس؛ مسجد بن طابون، ويرجع

(١) التجانى (أبو محمد عبد الله)؛ الرحلة. ص ٢٥٤.

إلى منتصف القرن ١٠هـ / ١٦م، ويقع بشارع قوس المفتى، ومسجد بن مقبل (بن موسى)، الذى أنشأه أبو عبد الله المكنى فى أواخر القرن ١٠هـ / ١٦م، ويقع فى شارع كوشة الصفار بمدينة طرابلس القديمة، ومسجد بن جابر الذى أنشأه سيدى بن خليفة فى أواخر القرن ١٠هـ / ١٦م، ويقع فى منطقة زاوية الدهمانى، ومسجد سيدى الخطاب، الذى أنشئ فى أوائل القرن ١١هـ / ١٧م، لكن المنشئ مجهول، ويقع المسجد فى زنقة كفالة بشارع كوشة الصفار، ومسجد عضية. الذى أنشئ فى النصف الأول من القرن ١١هـ / ١٧م، ويقع بشارع قوس السراعى، ومسجد قلعة طرابلس (السراى الحمراء) الذى تم تجديده فى عهد محسد باشا الساقرلى سنة ١٠٤٤هـ / ١٦٣٣م، ويوجد داخل مبنى القلعة، ومسجد بن صوان، ويرجع إلى النصف الأول من القرن ١١هـ / ١٧م، ويقع بشارع كوشة الصفار، كما يرجع إلى نفس الفترة مسجد العزى ويقع فى محلة حومة غريان، ومسجد بن سليمان الذى أنشأه بن سليمان فى النصف الثانى من القرن ١١هـ / ١٧م، ويقع فى شارع بن سليمان بمدينة طرابلس القديمة، ومسجد النخلى، الذى أنشأه رمضان خازندار فى سنة ١٠٦٤هـ / ١٦٥٣م بشارع كوشة الصفار بمدينة طرابلس القديمة، ومسجد قنديل، الذى أنشأه أمير البحر مصطفى عبد الله سنة ١٠٦٩هـ / ١٦٥٨م، ويقع بمحلة النوفلين، ومسجد الصومعة الحمراء الذى أنشأه أحمد كتحدا سنة ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧م، ويقع بشارع السيدى خارج أسوار المدينة القديمة، ومسجد الدباغ، الذى أنشأه أمير البحر محمد الدباغ فى النصف الثانى من القرن ١١هـ / ١٧م، ومسجد قره بغلى (الريفى) الذى أنشأه القبودان عمر قره بغلى، فى الربع الأخير من القرن ١١هـ / ١٧م، ويقع فى محلة كوشة الصفار، ومسجد أبر سعيد الذى أنشأه حسن أباطة فى سنة ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م، ويقع فى شارع البيك، ومسجد فشلوم الذى أنشأه حسن فشلوم سنة ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م، ويقع بالشارع الكبير، ومسجد محمود، أنشأه محمود خازندار سنة ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م، ويقع بشارع محمود، ومسجد القبطان، أنشأه حسين قبودان سنة ١٠٩٨هـ / ١٦٨٧م، ويقع بشارع زاوية

الدهماني، ومسجد بن الإمام، أنشئ أواخر القرن ١١هـ / ١٧م، ويقع بحى الظهرة، ومسجد بن لطيف وقد أنشئ فى أواخر القرن ١١هـ / ١٧م، ومسجد بن طيب، ويرجع إلى أوائل القرن ١٢هـ / ١٨م، ويقع بشارع سوق الحرارة.

ونلاحظ من هذا العرض أن معظم هذه المساجد من إنشاء موظفى الولاية مثل الخازندار أو أمير البحر (قبودان) أو غيرهم من الموظفين الذين لا تتوفر لديهم الإمكانيات المادية لإقامة مساجد جامعة. أما من حيث التخطيط المعماري فقد أمكن من خلال الدراسة تقسيم هذه المساجد إلى أربعة طرز لكل منها خصائصه ومميزاته. . . وهى:

- الطراز الأول: يتكون من بيت صلاة غالباً ما يكون مربع المساحة يقسمه عمود أوسط إلى أربعة أجزاء متساوية يغطى كل منها قبة نصف كروية محمولة على مثلثات أو حنايا ركنية. ولا يلحق ببيت الصلاة أى ملحقات أخرى مثل الصحن أو المرافق، ومن أهم أمثلة هذا الطراز مسجد النخلى (١٠٦٤هـ / ١٦٥٣م). أما إذا كانت أقسام بيت الصلاة غير متساوية فإن التغطية تتم بإسلوبين القباب والأقبية، ومن أمثلة ذلك مساجد بن طابون، والمفتى، وبن سليمان وجميعها ترجع إلى القرن ١١هـ / ١٧م، كما زود بعضها بمئذنة من نوع السلم مثل مسجد بن سليمان (صورة ٢٣).

- الطراز الثانى: يتكون أيضاً من بيت صلاة يقسمه عمود أوسط إلى أقسام، أو أن يكون على شكل مساحة واحدة مغطاة بقبة. ولكن يمان يميز هذا الطراز أن بيت الصلاة تتقدمه فناء صغير مكشوف فى أحد جوانبه ميضأة صغيرة. ومن أمثلة هذا الطراز مسجد الدباغ ومسجد قره بغلى (شكل ٩).

- الطراز الثالث: وفيه أضيف إلى الوحدات المعمارية التى تتكون منها مساجد الطراز الثانى سقيفة من بائكة فى أحد جوانب الصحن أو على جانبيه منه. ومن أمثلة مساجد هذا الطراز مسجد قنديل ١٠٦٨ - ١٠٧٩هـ / ١٦٥٨ -

١٦٦٨م، ومسجد أبو سعيد الغرياني ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م، ومسجد محمود
١٠٩١هـ / ١٦٨٠م^(١). (شكل ١٠).

- الطراز الرابع: يتكون من بيت صلاة تتقدمه سقيفة من بائكة من عقود، على
أحد جوانبها ضريح، ويتقدم السقيفة مساحة صغيرة مكشوفة يشغل أحد
جوانبها مiazza ومرحاض بينما يشغل جانب آخر من هذه السقيفة فتحة
المدخل. ومن نماذج هذا الطراز مسجد بن مكيل الذي بناه أبو عد الله المكنى
فى النصف الثانى من القرن ١٠هـ / ١٦م (شكل ١١) ومن المرجح أن
المنشئ حاول محاكاة تخطيط جامع درغوت ولكن على مقياس أصغر كثيراً،
حيث أن المنشئ كان زعيماً على الأربعين عائلة الذين أحضرهم درغوت باشا
من مدينة صفاقس فى تونس إلى مدينة طرابلس، وكان من أبواب الحرف
والفنون وقد أستعين بهم فى إنجاز الكثير من المنشآت المعمارية مما أدى إلى
ظهور التأثيرات التونسية فى عمارة العديد من هذه المنشآت ومنها مسجد بن
مكيل، ويتضح ذلك بشكل واضح فى عنصر السقيفة التى تتقدم بيت
الصلاة، والتى وجد ما يماثلها فى جامع درغوت باشا، وفى جامع شائب
العين، وفى جامع خليل باشا، حيث أن هذا العنصر والذى أستعمل فى
العمارة المدنية والدينية فى بلاد العراق، مثل بيوت الشعبية فى قصر
الأخضر، ومصلى جامع النورى، الذى يرجع إلى الفترة من سنة ٥٦٦هـ /
١١٧١م، إلى سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٣م^(٢)، قد ظهرت أيضاً فى عمارة المسجد
التونسى منذ وقت مبكر ومن أمثلتها سقيفة جامع بوفتاتة فى سوسة
(٢٢٣هـ / ٨٣٨م) ثم أصبحت السقيفة عنصراً أساسياً فى عمارة المسجد فى

(١) للمزيد عن هذا المسجد، انظر: صلاح أحمد البهنسى (د): العمارة الدينية فى طرابلس فى العصر
العثمانى الأول. ص ص ١٠١ - ١١١، ص ١٤٣.

(٢) عيسى سلمان، وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق. ج١. السلسلة الفنية. العدد ٥١ -
العراق ١٩٨٢. ص ٥٦.

العصر الحفصى، ومن أمثلة ذلك سقيفة جامع القصبة بتونس (١٦٣١هـ/ ١٢٢٣م) وسقيفة جامع باب الأقواس (بداية القرن ٩هـ/ ١٥م)، وإستمرت في المساجد التي ترجع إلى العصر العثماني مثل جامع يوسف داي (١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م) والجامع الجديد بمدينة تونس (١١٢٩هـ/ ١٧١٦م)^(١).

وقد إنتقل هذا العنصر إلى العمارة الإسلامية في مصر في العصر الفاطمي بتأثير مغربي من تونس وظهر في عدة أمثلة وهي مشهد السيدة رقية بالقاهرة (٥٢٧هـ/ ١١٣٢م) وجامع الصالح طلائع بالقاهرة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م). ويعد ظهورها في العمارة الإسلامية في ليبيا بتأثير تونس أيضاً.

٣- المدارس:

نظرة عامة عن نشأة المدارس في طرابلس

على الرغم من أن طراز المدرسة ظهر في العمارة الإسلامية منذ القرن ٤هـ/ ١٠م حين أنشأ أبو حاتم البستي مدرسة في مدينة بست بإيران، وخصص بها مكتبة وأرزاقاً للطلبة، ثم تطور نظام المدرسة وإنتقل إلى بلاد العراق وبلاد الشام حيث إنتشرت المدارس خلال العصر السلجوقي، وظهر في مصر منذ أواخر القرن ٥هـ/ ١١م حيث إزدهر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، إلا أن طراز المدارس لم يظهر في شمال أفريقيا إلا في القرن ٧هـ/ ١٣م. وكان ظهورها في تونس سابقاً لظهورها في المغرب الأقصى، ففي سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٧م أنشأ أبو زكريا مؤسس الدولة الحفصية المدرسة الشماعية في تونس، كما بنيت الأميرة عطف أم المستنصر مدرسة الهواء في منتصف القرن ٧هـ/ ١٣م^(٢). وفي أثناء الفترة من سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م وحتى سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م أنشأ الأمير محمد

(1) Marcais (G); L' Architecture Musulmane d' Occident (Tunisie Algerie - Maroc - Espagne et Sicile) Paris - 1954 - P461, P. 163.

(٢) عبد العزيز الدولاتلي: تونس في العهد الحفصى. تعريب محمد الشابي، عبد العزيز الدولاتلي. تونس ١٩٨١. ص ١٩٤، ١٣٩.

بن أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص المدرسة المنتصرية أو
المستنصرية^(١).

أما فى المغرب الأقصى، فقد ذكر ابن مرزوق فى مسنده أن المدارس لم تكن
معروفة فى المغرب حتى أنشأ أبو يعقوب يوسف المرينى مدرسة الحلفائين
(الصفارين) فى فاس سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧١م^(٢). إلا أن هناك رأى بأن المغرب قد
عرفت المدارس فى العصر الموحدى وذلك إعتقاداً على نص تحييس (وقف) فى
مخطوط يفيد التحييس على المدرسة التى بناها الخليفة عمر المرتضى بقصر مراكش
فى أوائل القرن ٦هـ / ١٢م^(٣).

أما عن ظهور طراز المدارس فى العمارة الليبية فيظهر من كتابات الرحالة
والمؤرخين أنها ظهرت منذ النصف الثانى من القرن ٧هـ / ١٣م، ومن ذلك ما
ذكره التجانى الذى زار طرابلس فى العقد الأول من القرن ٨هـ / ١٤م، أن
بداخل مدينة طرابلس مدارس كثيرة أحسنها المدرسة المنتصرية أو المستنصرية التى
بناها الفقيه أبى محمد عبد الحميد بن أبى البركات بن أبى الدنيا فى الفترة من
سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م، إلى سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، وحدد موقعها بالقرب من
قوس ماركوس أوريليوس^(٤). ويبدو أن هذه المدرسة كانت على درجة من
الإتقان ودقة البناء، فعلى الرغم مما أورد العبادى من مساوئ البلاد التى رآها،
ونراه قد إتبع نفس الإسلوب عندما زار طرابلس سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م، إلا أنه
أثنى على المدرسة المستنصرية وقال «لم أر بها - يقصد مدينة طرابلس - ما يروق

(١) بل (الفرد)؛ الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى من الفتح العربى حتى اليوم. توجمة د. عبد الرحمن
بدرى. دار ليبيا - ١٩٦٩. ص ٣٥٢.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله: الآثار الإسلامية بالمغرب (المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية - نوفمبر ١٩٥٩ -
القاهرة - ١٩٦١) ص ٣٦٨، عبد العزيز الدولاتلى: المرجع السابق. ص ١٣٩.

(٣) محمد محمد الكحلوى: العمارة الإسلامية فى المغرب الإسلامى. عمائر الموحدين الدينية فى المغرب.
مخطوط رسالة دكتوراة - كلية الآثار جامعة القاهرة - ١٩٨٦ - ص ١٢٢، ص ٥٠٣.

(٤) التجانى (أبو محمد عبد الله)؛ الرحلة. ص ص ٢٥١ - ٢٥٣.

العيون وسماعن أن يقوم بالدون سوى جامعها ومدرستها، فإن لهما من حسن الصورة نصيباً، ومن إتقان الصنعة سهماً مصيباً، وما رأيت في الغرب - يقصد بلاد المغرب - مثل مدرستها المذكورة^(١). كما ذكر الرحالة «القليصادي» الذي زار طرابلس سنة/ ١٤٤٧م أنه أقام ومن معه في مدرسة «ابن ثابت» عدة ليال وأيام^(٢). وقد زاد عدد المدارس في طرابلس خلال القرن ١٠هـ/ ١٦م فقد ذكر «ليو الأفريقي» الذي زار طرابلس سنة ١٥١٨م أن المدارس فيها متعددة^(٣).

تخطيط المدرسة في العمارة الليبية؛

إذا كانت أولى المدارس التي وردت عنها إشارات تاريخية، وهي المدرسة المنتصيرية أو المستنصرية لم يصلنا شيء من بقاياها المعمارية، مما يصعب معرفة طراز تخطيطها، إلا أننا يمكننا معرفة ذلك من خلال مقارنتها بالمدرسة المستنصرية في تونس، لأن من أرجح الاحتمالات أن مستنصرية طرابلس ترجع إلى نفس الفترة ونفس المنشئ وهو الأمير الحفصى محمد بن أبى زكريا، كما أن أبا محمد عبد الحميد بن أبى البركات بن أبى الدنيا الذى تولى القضاء والخطابة بجامعة الزيتونة بتونس، وعاد إلى طرابلس التى ولد بها، قد تولى التدريس بمستنصرية طرابلس حتى توفي سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م^(٤). مما يرجح أن تكون مدرسة طرابلس قد بنيت على نفس النمط، كما سميت بنفس المسمى.

وبناء عليه فإن مستنصرية طرابلس كانت تتكون من صحن أوسط مكشوف تحف به خلاوى الطلبة من ثلاث جهات دون أن يتقدمها رواق، بينما يحتل بيت الصلاة الضلع الجنوبي الشرقي للصحن، ويطل على الصحن مباشرة.

(١) العبدري (أبو عبد الله محمد)؛ الرحلة. ص ٧٧.

(٢) القليصادي (أبو الحسن على)؛ رحلة القليصادي. دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان - تونس ١٩٧٨ - ص ١٢٤.

(٣) نقولا زيادة (د)؛ ليبيا في العصور الحديثة. القاهرة ١٩٦٦. ص ٤٣.

(٤) التجاني (أبو محمد عبد الله)؛ الرحلة - ص ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

على مصطفى المصراي: أعلام من طرابلس. ط ٢. طرابلس ١٩٧٢ ص ص ٨٥ - ٩٤.

ويدل هذا التخطيط الذى كانت عليه المدرسة قبل العصر العثمانى عما حدث فى تخطيط المدرسة من تطور خلال العصر العثمانى يتضح بشكل واضح فى مدرسة عثمان باشا الساقزلى التى سنتناولها بالدراسة كنموذج للمدرسة فى طرابلس خلال العصر العثمانى، يتضح فيه التأثير بطراز المدرسة العثمانية، المتأثرة بدورها بطراز المدرسة فى العصر السلجوقى والذى إنتقل بدوره إلى أجزاء كثيرة من الولايات التابعة للدولة العثمانية ومنها مصر مثل المدرسة السليمانية بالسروجية ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م ومدرسة المحمودية ١١٦٤هـ / ١٧٥٠م وفى بلاد الشام ومن أمثلة ذلك المدرسة السليمية فى دمشق ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م.

- مدرسة عثمان باشا الساقزلى:

أنشأها عثمان باشا الساقزلى الذى بايعه أهل طرابلس والعسكر بعد وفاة محمد باشا الساقزلى، وتولى حكم طرابلس من سنة ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م، إلى أن تجرّع السم ومات فى سنة ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م^(١). وقد إهتم فى أثناء حكمه بالإسطول حتى بلغت أساطيل طرابلس أربعة وعشرين إسطولاً^(٢). وقد تمكنت هذه الأساطيل من تحقيق العديد من الانتصارات، ومن أهمها الإنتصار على البنادقة وإنتزاع ميناء كاندى فى جزيرة كريت منهم، وذلك فى موقعة الدردنيل سنة ١٠٧٨هـ / ١٦٧٧م، وذلك بمساعدة الأسطول التونسى^(٣).

وإن كان قد بدأ فترة حكمه عادلاً وقام برفع الضرائب عن الشعب، إلا أنه لا يلبث أن تمادى فى ظلمه وإحتكاره للتجارة وللغنائم التى يحصل عليها الإسطول. وقد أدى ذلك إلى ثورة الشعب والجنود ضده. وحاصروه بالقلعة إلى أن تجرّع السم بعد ثمانية أيام من الحصار خوفاً من الوقوع فى أيدي الجند والبطش به^(٤).

(١) الطاهر أحمد الزاوى: ولاية طرابلس. ص ١٨٦.

(٢) أحمد الأنصارى النائب: المنهل العذب. ص ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٣) مجموعة: ليبيا. الكتاب الخامس. ص ٥٦.

(٤) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق - ص ٢٣٧.

ونتيجة لما كان يحصل عليه من الغنائم وإحتكاره للتجارة، فقد تمكن من تشييد العديد من العمارات، ومنها ثلاثة فنادق بمدينة طرابلس، وحماماً للأسرى، وقصر الأعمدة، كما أقام خمسة أبراج على السور البحرى لطرابلس، وأقام سوراً حول حصن المنديك^(١). وتعد المدرسة التى أنشأها بطرابلس من المفآخر المعمارية بها.

وتقع المدرسة فى شارع درغوت، كما تطل واجهتها الجنوبية الغربية على ميدان السيدة مريم.

الوصف المعمارى للمدرسة:

الشكل العام للمدرسة غير منتظم الأضلاع. ويؤدى إلى داخل المدرسة مدخل فى الواجهة الجنوبية الشرقية معقود بعقد نصف دائرى من صنجآت من الحجر الوردى (رخام مالطة) حول صنجة وسطى من الرخام الأبيض يعلوها شكل وريدة داخل دائرة، على كل جانب من جوانبها شجرة سرو. ويعلو المدخل اللوحة التأسيسية التى تشتمل على إسم المنشئ «عثمان باشا» وتاريخ الإنشاء فى غرة ذى القعدة سنة ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م كما تحدد الغرض من الإنشاء وهو «لتكون مدرسة لطلب العلم وتلاوة القرآن» (صورة ٢٤).

وتؤدى فتحة المدخل إلى دركاة مربعة طول ضلعها ٣,٥٠م، على جانبين منها مصطبة حجرية. ويغطى الدركاء قبة قطاعها مدبب ترتكز على مثلثات مقلوبة. وتؤدى هذه الدركاء إلى بقية وحدات المدرسة (صورة ٢٥).

يتوسط المدرسة صحن مكشوف تتوسطه بركة رخامية مربعة، ويحيط بالصحن من أربع جهات رواق من بائكة من ثلاثة عقود نصف دائرية محمولة على أعمدة رخامية معظم تيجانها من النوع الحفصى (شكل ١٢) ويغطى كل رواق من الأروقة الأربعة قبر طولى، فيما عدا البلاطات الركنية فأنها مغطاة بقبة نصف كروية محمولة على مثلثات مقلوبة.

(1) Aurigemma (S); La Moschea di Gurgi in Tripoli (Africa Italiana Vol. 1. Maggio. 1928. Anno. VI. Num 4.), P. 259.

ويدخل من الأروقة إلى خلوات الطلبة والتي يبلغ عددها أربع عشرة خلوة، تشتمل كل منها على فتحة باب ونافذة، كما تشتمل على دخلات صماء معقودة تستخدم لوضع المرسجة أو المصباح وأدوات الطلاب، وكذلك على سدة خشبية تستخدم كسرير. ويغطي كل خلوة قبر برميلي. وعبر إيوان معقود في الجهة الجنوبية الشرقية من المدرسة يدخل إلى المسجد.

والمسجد عبارة عن مساحة مربعة طول ضلعها خمسة أمتار، ويتخلل جدرانه خمس فتحات نافذة. ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية مجوفة قليلة العمق معقودة بعقد نصف دائري يرتكز على عمودين، وعلى جانبي المحراب توجد دخلتان معقودتان بعقد مدبية. ويغطي المسجد قبة نصف كروية ترتكز على مثلثات مقلوبة قليلة العمق. وتتميز هذه القبة بأن رقبته مضلعة من ستة عشر ضلعاً يفصل بينها أعمدة بارزة، ويتوسط كل ضلع من هذه الأضلاع شكل حنية صماء معقودة بعقد نصف دائري، كذلك فقد قسم بدن القبة بواسطة ضلوع بارزة إلى ستة عشر جزءاً (صورة ٢٦).

إلى جانب المسجد يوجد الضريح، وهو عبارة عن مساحة مربعة طول ضلعها ستة أمتار تؤدي إليها فتحة باب في الجدار الشمالي الغربي معقودة بعقد قوسي، وتتخلل جدران الضريح ثمانى نوافذ مستطيلة. ويغطي حجرة الضريح قبة نصف كروية ترتكز على مثلثات مقلوبة وتشابه قبة الضريح مع قبة المسجد، ولا تختلف عنها إلا في وجود فتحات صغيرة في بدن القبة، وفي أن قطب القبة يعلوه شكل عمامة. وهو الشكل الذى شاع أعلى شواهد قبور الشخصيات الهامة في العصر العثماني. (صورة ٢٧).

ويضم الضريح اثنتا عشرة تركيبة رخامية، يلاحظ الإهتمام بزخرفة بعضها وخاصة تلك التي تخص عثمان باشا.

يلحق بالضريح مدفن مكشوف مستطيل. كما توجد في الجهة الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية للمدرسة مجموعة من المنافع التي تفي بإحتياجات الطلاب مثل المطبخ والميضة والحمامات ومخزن لحفظ حاجيات الطلاب. (شكل ١٢).

ونلاحظ في مدرسة عثمان باشا إستعمالها على عناصر معمارية وزخرفية متميزة، ومن ذلك القباب التي تغطي الدركاه والمسجد والضريح والتي تتميز بأن رقابها تظهر من الخارج بشكل دائري ينتهى من أعلى بثلاثة إطارات حجرية بارزة يرتكز عليها بدن القبة المكون من ضلوع بارزة تقسم القبة إلى أجزاء تلتقى في قمة القبة (الصور ٢٦، ٢٧).

وهذا النوع من القباب لم نشهده في عمائر طرابلس في العصر العثماني الأول أو ماتلاه من العصور إلا نادراً حيث أن الغالب في شكل القباب في العمارة الإسلامية في ليبيا أن مناطق الإنتقال وكذلك الرقاب لا تظهر من الخارج وتبدو القبة وكأنها ترتكز على جدران المساحة التي تغطيها مباشرة. وهذا النوع من القباب الذي ظهر في مدرسة عثمان باشا، وظهر بعد ذلك في قبة ضريح سيدي سالم المشاط يشبه نمط القباب الأغلبية في تونس مثل قبة مدخل قصر الرباط في سوسة (٢٠٦هـ / ٨٢١م) وقبة بلاط المحراب في جامع سوسة (٢٣٦هـ / ٨٥١م)^(١) كما إستعملت في عمارة الموحدين في تونس مثل جامع القصبة (٦٣٣هـ / ١٢٣٥م)^(٢). وانتقل هذا النمط من القباب إلى العمارة الإسلامية في مصر، ومن ذلك مقابر أسوان، ومدخل باب الفتوح وباب زويلة، وجامع الأقمر^(٣). ومن المرجح أن هذه القباب قد ظهرت في العمارة الليبية منذ العصر الأغلبى حيث كانت ليبيا تخضع هي الأخرى للسيادة الأغلبية. كما أن زخرفة ظواهر القباب بالضلوع البارزة وجد أيضاً منذ العصر الأغلبى، ويظهر ذلك في قبة البهو في جامع عقبة بن نافع بالقيروان التي أضيفت في عهد أبو إبراهيم بن أحمد الأغلبى سنة ٢٤٤هـ / ٨٥٨م^(٤). وأصبح هذا الإسلوب شائعاً منذ العصر

(١) سليمان مصطفى زبيس: القبة الترسية (دراسات في الآثار الإسلامية - القاهرة ١٩٧٩) ص ٩٤ - ٩٥.

(٢) عبد العزيز الدولاتلى: المرجع السابق - ص ١٩٣.

(٣) فريد شافعى (د): العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة ٢١ - ٣٥٨هـ / ٦٣٩ - ٩٦٩م) م - ١. القاهرة - ١٩٧٠. ص ٥٦٥ - أشكال ٣٤٨ - ٣٥١.

- كمال الدين سامح (د): العمارة الإسلامية في مصر. ط٤ - القاهرة ١٩٩١ - ص ٩٩ - ١٠٠.

الفاطمي في عمارة مصر الإسلامية، ومن أمثلتها قبة السيدة رقية بالقاهرة (٥٢٧هـ / ١١٣٢م)^(١).

وتظهر بمدرسة عثمان باشا مجموعة من التأثيرات، فمن حيث التخطيط نجد أن المدرسة متأثرة بطراز تخطيط المدارس العثمانية، إذ أنها تتكون من فناء أوسط مكشوف يحف به من أربع جهات رواق من بائكة من عقود، خلفه خلاوى الطلبة، كما تشتمل على بيت صلاة مغطى بقبة. وهذا التخطيط يشبه الطراز الثانى من المدارس السلجوقية، والتي تتكون من صحن متسع تلتف حوله ظلة من بائكة من عقود، ومن أمثلة هذا التخطيط مدرسة زينجرلى بديا ريكى (٥٩٢هـ / ١١٩٨م) ومدرسة هفت منار بقيصرية (٦٠٢هـ / ١٢٠٥م) ومدرسة هفت منار بسيواس (٦١٤هـ / ١٢١٧م)^(٢) وانتقل هذا الطراز إلى العمارة العثمانية من أمثلة ذلك مدرسة السلطان بايزيد الأول فى الطابق الأعلى لجامع هدى فيندجار ببورصة (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)، والمدرسة الخضراء ببورصة (٨٢٥هـ / ١٤٢١م)^(٣). وقد إنتقل هذا الطراز إلى العمارة الإسلامية فى الولايات التابعة للدولة العثمانية ومنها ليبيا.

كذلك تتفق مدرسة عثمان باشا مع المدارس العثمانية فى عدم إشتغالها على مثذنة. وتضم مدرسة عثمان باشا تأثيراً عثمانياً يتضح فى الزخارف المنقذة بها وخاصة أشكال أشجار السرو والوريدات. أما قبة دركاة المدخل التى تشتمل على رقبة مستديرة تنتهى من أعلى بطنف حجرى بارز. فأنها شبيهة بالقباب البيزنطية، ومن أمثلتها قبة أيا صوفيا بإستانبول^(٤). والإختلاف بينها وبين القباب البيزنطية هو عدم إشتغال قبة مدخل مدرسة عثمان باشا على فتحات نافذة، ويرجع ذلك إلى طبيعة المكان الذى تغطيه حيث أنها تغطى مساحة بسيطة تقع بين المدخل

(١) كسلر (كريستل)؛ زخارف قباب القاهرة - ترجمة شهيرة محرز. مجلة فكر وفن - ١٩٦٩ - ص ٢٦.

(٢) أصلان أبا (أوقطاي). فنون الترك وعماؤهم. ترجمة أحمد عيسى. إستانبول ١٩٨٧ ص ١٩١ - ٢٠٥.

(3) Goodwin (G); AHistory of Ottoman architecture. New York. 1987. PP. 68 - 69.

(٤) فريد شافى (د)؛ المرجع السابق - ص ١٣٩ شكل ٧٢.

والصحن، مما يوفر لهذه المساحة الضوء من الناحيتين، مما يجعل وجود فتحات للإضاءة بالقبة أمر غير ضرورى.

ومن التأثيرات الواضحة فى مدرسة عثمان باشا التأثيرات الأوربية، ويظهر ذلك فى:

- تقسيم رقبة القبة إلى أجزاء متساوية بواسطة أعمدة ذات قواعد وتيجان، كما فى كل من قبة المسجد والضريح، ونرى مثلاً لذلك فى قبة كاتدرائية فلورنسا التى شيدها فيليبو برونولسكى سنة ١٤٢٠م^(١).

- الفتحات المعقودة بعقد متعدد الإطارات مثل الفتحة المؤدية من الدركاة إلى الصحن، وهذا العقد متأثر بعقود المداخل فى العمارة القوطية بأوروبا، وقد وجد مثل هذا العقد فى عمائر إسلامية قليلة متأثرة بالعمارة الأوربية، ومن أمثلة ذلك مدخل مجموعة المنصور قلاوون بالقاهرة (٦٨٤هـ / ١٢٨٤م) والذى نقل إليها من إحدى كنائس مدينة عكا بفلسطين بعد أن تمكن الناصر محمد بن قلاوون من إستعادتها، وعقد باب المزينين بالجامع الأزهر الذى أضافه عبد الرحمن كتخدًا سنة (١١٩٠هـ / ١٧٧٦م)^(٢).

وإذا كانت التأثيرات الأوربية قد ظهرت فى العمارة اللببية الدينية والمدنية بشكل واضح فى الفترة الأخيرة من العصر القرمانلى، فإن ظهورها بشكل فردى فى عمارة مدرسة عثمان باشا التى ترجع إلى العصر العثمانى الأول يرجع إلى أسباب تاريخية، من أهمها أن محمد باشا الساقللى كان قد أحاط نفسه بمجموعة كبيرة من أهل بلده «ساقز» ببلاد اليونان، ولم يكتف بذلك بل أرسل الرئيس عبد الرحمن ليجلب مجموعة من ساقز إلى طرابلس^(٣).

(١) أنظر: توفيق أحمد عبد الجواد (د)؛ تاريخ العمارة. ج٣- القاهرة. ١٩٧٠ - ص ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٢) أنظر: مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية: أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري فى العصور المختلفة بالعاصمة القاهرة. منظمة المدن والعواصم الإسلامية. ١٩٩٠. لوحات ٥، ١٧٥.

(٣) برنيا (ك)؛ المرجع السابق - ص ١٢٤.

وفى فترة حكم عثمان باشا ونتيجة لتفوق الأسطول الطرابلسى فقد زار عدد الأسرى الأوربيين فى طرابلس، حتى بلغ فى تلك الفترة ما بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ أسيراً، كان معظمهم من الإيطاليين، الذين كانوا يستغلون كعمالة ماهرة رخيصة^(١).

لذلك كان من الطبيعى أن تظهر التأثيرات الأوربية فى عمارة مدرسة عثمان باشا، نتيجة للإستعانة بالعمالة الأوربية فى أعمال البناء.

الخصائص المميزة للعمارة الدينية فى طرابلس؛

١- بساطة التكوين المعماري؛

تتكون معظم مساجد مدينة طرابلس من بيت صلاة مقسم إلى بلاطات بواسطة بائكات من العقود ترتكز على أعمدة - فى معظم الأحيان - تمتد متوازية ومتعامدة على جدار القبلة. ويحيط ببيت الصلاة فى المساجد الجامعة فناء مكشوف فى أكثر من جهة تشغل أحد جوانبه منافع المسجد من دورات المياه، كما تترم فى مقابل المحراب فى الجهة الشمالية من الفناء وبالقرب من مدخل الجامع المشذنة.

وفى معظم المساجد الجامعة تتقدم بيت الصلاة سقيفة محمولة على أعمدة؛ قد تكون من جانب واحد مثل السقيفة فى جامع درغوث باشا، وجامع محمد باشا شائب العين، وجامع خليل باشا، أو أكثر من جانب مثل جامع أحمد باشا القرمائلى وجامع قورجى.

ومنذ بداية العصر العثمانى (٩٥٨هـ / ١٥٥١م) أصبحت التغطية بالقباب ضاراً شائعاً فى عمارة المسجد الليبى، متأثرة فى ذلك بطراز بورصة العثمانى فى تغطية بيوت الصلاة، والذي إنحدر إلى الفن العثمانى فى الطراز المعماري السلجوقى. وتتميز القباب الليبية بصغر حجمها، وقلة إرتفاعها، وإنها تخلو من الزخارف فى الداخل والخارج، إلا فى بعض النماذج القليلة، مثل قباب مدرسة

(١) Wright (G); OP. cit. P. 97.

عثمان باشا الساقرلى وقباب جامع سيدى سلم المشاط وقباب جامع أحمد باشا القرمانيلى، وجامع قورجى. كما أن القباب لا تظهر مناطق إنتقالها من الخارج، وإنما تبدو من الخارج وكأنها ترتكز على الجدران مباشرة، فيما عدا النماذج السابق ذكرها.

٢. عدم الإهتمام بالجانب الزخرفى،

كانت معظم مساجد مدينة طرابلس تتميز بقلّة زخارفها، إلا أن تغيراً قد حدث فى هذا الجانب مع خضوع طرابلس للحكم العثمانى، إذ أخذ الإهتمام بزخرفة المساجد فى الإزدىاد. وقد مر ذلك بعدة مراحل نجملها فيما يلى:

- زخرفة أجزاء من المحراب وكذلك المنبر، مع تغطية أجزاء من الجدران الخارجية لبيت الصلاة ببلاطات خزفية، وكذلك تغطية أجزاء بسيطة من أبدان المآذن بمثل هذه البلاطات. ومن أمثلة ذلك التكسيات بجامع درغوت باشا، وجامع محمد باشا شائب العين وجامع خليل باشا، وكلها ترجع إلى العصر العثمانى الأول.

وفى العصر القرمانيلى إزداد الإهتمام بزخرفة المساجد، وتنوعت طرق الزخرفة وشملت تغطية الجدران الداخلية والخارجية لبيت الصلاة حتى إرتفاع مآخذ العقود ببلاطات خزفية متنوعة فى زخارفها، نظراً لتنوع مصادرها، إذ أن بعضها يجلب من تونس وبعضها كان يرد من آسيا الصغرى، كما أن هناك نماذج من بلاطات مستوردة من بعض الدول الأوربية وخاصة أسبانيا وهولندا.

ولم تقتصر الزخارف فى ذلك العصر على التغطية بالبلاطات، بل كان يعلو ذلك وفى الأجزاء العليا من الجدران إطار من الكتابات المذهبة على مهد من زخارف نباتية دقيقة وتمتد الزخارف إلى الأجزاء العليا من الجدران وتشمل مناطق إنتقال القباب وبواطن القباب زخارف جصية، تشمل زخارف هندسية ونباتية دقيقة منفذة بطريقة «نقش حديدية» الشائعة فى إعداد الزخارف الجصية فى عمائر شمال أفريقيا والمغرب بشكل عام.

ومن طرق إعداد الزخارف فى أواخر العصر العثمانى الأول والعصر

القرمانلى، زخرفته المتأثر الرخامية عن طريق تلبس قطع من الرخام الملون فى الرخام الأبيض أو الأسود بحيث ينتج عن ذلك زخارف هندسية عبارة عن أشكال نجمية ورسوم أهلة، وغيرها من الأشكال الهندسية كما فى جامع محمد باشا شائب العين، أو أن تشكل زخارف نباتية متنوعة ومتأثرة بالطراز الزخرفى العثمانى، كما فى جامع أحمد باشا وجامع قورجى، وجامع ميزران الذى يرجع إلى العصر العثمانى الثانى. كما شملت الزخارف على الرخام عضادات الأبواب، وعقودها وكوشاتها، وكان عبارة عن أشكال وريدات أو أهلة بارزة، أو عبارة عن تكوين زخرفى، يعتمد فى معظم الأحيان على العناصر النباتية بمختلف أنواعها، ونجد أمثلة لذلك فى جامع محمد باشا شائب العين وجامع أحمد باشا وجامع قورجى.

كما إمتدت الزخارف على الرخام لتشمل أجزاء أخرى من البناء، ومن أمثلة ذلك الزخارف فى الميضاء بمدرسة عثمان باشا الساقلى، والمنفذة بإسلوب يجمع بين عناصر فنية مغربية وأخرى عثمانية بالإضافة إلى بعض التأثيرات الأوربية.

ومن أساليب الزخرفة فى العمارة الدينية بطرابلس الحفر والرسم على الخشب، وقد إستعملت طريقة الحفر فى زخرفة الأبواب الخشبية والسدات، مثل أبواب جامع شائب العين وجامع ميزران، وتشتمل على عناصر زخرفية عثمانية مثل أشجار السرو والوريدات وأزهار السوسن والقرنفل وورقة السار (الورقة المستننة). أما عن الزخارف المنفذة بالطلاء أو الرسم فمن أحسن أمثلتها سقف السدة الخشبية فى جامع شائب العين، وسقف السدة الخشبية فى جامع قورجى.

٢. طراز المجمعات المعمارية (الكليات)،

كانت مساجد طرابلس قبل العصر العثمانى لا يلحق بها ملحقات معمارية مثل الأضرحة والأسبلة والمدارس. ولكن مع بداية لعصر العثمانى أصبح الضريح الخاص بمنشئ الجامع، وكذلك المدفن الخاص بأفراد أسرته وبعض خاصته، من الوحدات المعمارية التى ألحقت بالعديد من العماثر الدينية، ومن أمثلة ذلك

الضريح والمدفن بجامع درغوت باشا، ومدرسة عثمان باشا الساقرلى، وجامع سيدى سالم المشاط ومسجد محمود، وجامع محمد باشا شائب العين وجامع أحمد باشا القرمانيلى وجامع قورجى.

ويتخذ الضريح فى العمارة الدينية بطرابلس مكانًا متميزًا حيث يقع خلف جدار القبلة ويدخل إليه عن طريق فتحة باب أو فتحات نوافذ فى جدار القبلة. ويعتبر وضع الضريح فى هذا المكان أمر غير مألوف فى العمارة الإسلامية بشكل عام، ولكن وجدت نماذج متفرقة لذلك، مثل الضريح فى كل من المشهد الحسينى (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م) ومدرسة السلطان حسن ٧٥٦ - ٧٦٢هـ/ ١٣٥٦ - ١٣٦٢م، ومدرسة محمود باشا ٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م، وجامع أكتى برمق ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م، وجامع على كاشف جمال الدين بمنفلوط ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م.

أما المدفن فغالبًا ما يكون على أحد جوانب بيت الصلاة ويقطع جزءًا من الفناء المحيط ببيت الصلاة.

وفى العصر القرمانيلى بلغت المجمعات المعمارية درجة كبيرة حيث أصبحت تضم العديد من الوحدات فتجد أن مجموعة أحمد باشا القرمانيلى، تضم إلى جانب بيت الصلاة والفناء المحيط به، وكذلك المنافع مثل دورات المياه وغيرها، وحدات معمارية أخرى مثل السبيل والمدرسة والتى تتكون من طابقين، ومجموعة من الحوانيت فى الجدران الخارجية للمجمع العمارى. ووجدت بعض هذه الوحدات مثل السبيل والمدرسة فى كل من جامع قورجى وجامع ميزران.

٤. التأثيرات فى العمارة الدينية بطرابلس:

جمعت العماثر الدينية فى طرابلس العديد من التأثيرات، ومن أهمها:

- التأثير التونسى:

ويظهر ذلك بوضوح فى عدة عناصر معمارية مثل السقيفة التى تتقدم البناء. وفى توكسية الجدران ببلاطات خزفية تونسية، وفى الزخارف الجصية. ويرجع

ذلك إلى إعتقاد المعمار الليبي في كثير من الأحيان على خبرات تونسية في إنجاز الأعمال المعمارية، وقد دلت الإشارات التاريخية على ذلك مثل جامع محمد باشا شائب العين. وحتى بعض العناصر المعمارية المتأثرة بالطراز العثماني، فأنها قد إنتقلت إلى طرابلس عن طريق تونس مثل المآذن المثمنة.

- التأثيرات العثمانية:

لاشك أن طرابلس مثلها مثل بقية الولايات التي خضعت للحكم العثماني قد تأثرت إلى حد كبير بالطراز المعماري والفني العثماني، سواء كان ذلك من حيث طراز التخطيط العام للمعائر أو ما تشتمل عليه من وحدات. ويظهر ذلك بوضوح في طريقة تخطيط بيت الصلاة وطريقة التغطية بالقباب المتعددة، والمدارس المكونة من طابقين، وطريقة تخطيط المدارس على الطراز العثماني. بالإضافة إلى ظهور العديد من العناصر الفنية العثمانية مثل أشجار السرو وأزهار القرنفل وورقة الساز. . وغيرها، ولم يقتصر ذلك على ظهورها على البلاطات الخرفية التي كانت تجلب من تركيا، بل ظهرت أيضاً على الزخارف المنقذة على الرخام، أو المحفورة والمرسومة على الخشب.

- التأثيرات الأوربية:

ظهرت في عمارة العصر العثماني الأول على نطاق ضيق جداً، وتمثل ذلك في أشكال قباب مدرسة عثمان باشا الساقرلي، وفي زخارفها أيضاً. وكما كان الحال في ظهور التأثيرات التونسية نتيجة لوجود معماريين وفنانين من تونس، فإن ظهور التأثيرات الأوربية كان أيضاً لمثل هذه الظروف، فكان ظهورها في مدرسة عثمان باشا نتيجة لوجود أعداد من الصنائع من بلاد اليونان في طرابلس، وكذلك وجود أعداد كبيرة من الأسرى الأوربيين الذين أستعين بهم في أعمال البناء والزخرفة.

وفي العصر القرمانلي ونتيجة لوجود صلات سياسية وتجارية بين طرابلس وكثير من الدول الأوربية فقد إزدادت هذه التأثيرات، وظهرت بشكل واضح في جامع قورجي.

العمارة المدنية بمدينة طرابلس

١- المنازل:

تضم مدينة طرابلس القديم عددًا من المنازل الأثرية معظمها يرجع إلى العصر العثماني الأول، والعصر القرمانلي، وكذلك العصر العثماني الثاني. وتوجد المنازل التي ترجع إلى العصر العثماني الأول في حي المنشية خارج أسوار المدينة القديمة، وقد بدأ عمران هذه الضاحية في عهد درغوث باشا، ومن أهم المنازل التي أنشأها ولاية طرابلس في هذه الضاحية مجموعة المنازل التي شيدت في عصر محمد باشا الساقرلي وعثمان باشا الساقرلي.

أما داخل مدينة طرابلس القديمة فتوجد عدة منازل أثرية، من أهمها منزل القرمانلي بشارع الأربع عرصات، ومنزل بن موسى بشارع الدروج، ومنزل قورجي بشارع سوق الحرارة، ومنزل الربى نسيم. ويعد منزل القرمانلي ومنزل قورجي من أكثر منازل طرابلس إحتفاظًا بعناصرها المعمارية والزخرفية، كما يشتمل منزل الربى نسيم على مجموعة متميزة من الحشوات من بلاطات خزفية بديدة.

تخطيط المنزل الطرابلسي:

جاء تخطيط المنزل الطرابلسي متمشيًا مع القيم الدينية والاجتماعية السائدة في المجتمع، مثله في ذلك مثل معظم طرز المنازل في بلدان العالم الإسلامي المختلفة. إذ أن أساس التخطيط يقوم على تحقيق الخصوصية لأهل المنزل وعزلهم عن بخارجه، وقد تحقق ذلك من خلال عدة نقاط، أهمها:

- المدخل المنكسر:

جعل المدخل الرئيسى للمنزل منكسراً وليس مستقيماً حتى لا يمكن للمرار بالشارع رؤية من بالداخل، ويسمى هذا المر فى العرف الليبى سقيفة، على أحد جوانبها حجرة خاصة برب البيت يستقبل فيها زائريه بمجرد دخولهم من المدخل الرئيسى، حتى يكون بمعزل عن بقية أفراد المنزل، وتسمى هذه الحجرة «مربوعة» وهى الحجرة الوحيدة فى الدور الأرضى التى تفتح نوافذها على الشارع. وأحياناً كان يوجد بسقيفة بعض المنازل ركابة (مصطبة) تخصص لجلوس أصحاب المصالح أو بعض الزوار ممن لا يليق بمقام صاحب المنزل أن يستضيفهم فى المربوعة.

- الفناء الأوسط:

يعد هذا الفناء المحور الأساسى لتخطيط المنزل الطرابلسى، إذ تفتح عليه أبواب ونوافذ حجرات المنزل، فهو مصدر الضوء والهواء دوماً حاجة لفتح نوافذ فى الجدران الخارجية للمنزل. كذلك فإن الدرج الذى يصعد منه إلى الطوابق العليا يوجد فى أحد جوانب الفناء. كما أن أرضية الفناء يحفر بها الماجل (خزان المياه) الذى يعد المصدر الأساسى للمياه لسكان المنزل. وتصله المياه عبر أنابيب من أعلى سطح المنزل، ينحدر إليها مياه المطر، حتى تستقر فى الماجل.

ونظراً لأن الفناء الأوسط هو مكان النشاط اليومى لأهل المنزل خاصة السيدات ومكان قضاء أوقات الراحة والسمر لكل أفراد الأسرة، لذلك كان يهتم بإضفاء لمسات جمالية على الفناء، فكانت أرضيته تغطى بالرخام الذى تشكل منه فى بعض الأحيان تشكيلات زخرفية بديعة. كما كانت الجدران المحيطة به تغطى ببلاطات خزفية (زليج) أو يحشوات من رخارف جصية تشتمل على رخارف نباتية وهندسية دقيقة. هذا فى الوقت الذى كانت تخلو الواجهات الخارجية فى معظم الأحيان من الزخارف.

وفى منازل الأسر الميسورة إجمالاً كانت تتوسط الفناء فسقية (فؤارة) للمياه،

لتلطيف حرارة الجو صيفًا، وإشاعة البهجة والسرور على الجلوس، إذ كانت توضع في أحواض الفوارات أسماك الزينة، كما كانت تحاط بأواني الزهور وما تجدر الإشارة إليه أن نظام الفناء الأوسط المحاط بجدران مرتفعة يوفر حيزًا من الظل في أحد الجوانب في كل وقت من النهار.

الوحدات المعمارية للمنزل الطرابلسي:

إذا كان الفناء الأوسط هو محور التخطيط للمنزل، فإن بقية الوحدات تتجمع حول هذا الفناء. فقد جرت العادة إحاطة الفناء برواق من أعمدة يشكل في الطابق الأرضي عمراً مسقوفاً يتقدم الحجرات، ويوفر لها حيزاً من الظل، بينما يكون في الطوابق العليا شرفة تدور حول الفناء من أربع جهات، ويطلق عليها «مستراح أو مساتريح». (صورة ٢٨) وتقع خلف الروان أو الشرفة مجموعة الحجرات التي تخصص جميعها للنوم، إلا حجرة واحدة تخصص لربة البيت لاستقبال صديقاتها. (شكل ١٣).

وتجمع منازل طرابلس في تغطيتها بين ثلاث وسائل، فبعض الحجرات تغطى بأقبية طويلة، ويعفها يغطى بأقبية متقاطعة، كما أن الأسقف المسطحة من البراطيم الخشبية من أكثر طرق التغطية في منازل طرابلس، ومعظمها من جذوع الصنوبر أو والنخيل، ثم تغطى بطبقة سعف النخيل يليها طبقة من الطفل.

وبجوار جدران الحجرات ترتفع سدة تستعمل كسرير، بينما يستعمل داخلها كخزانة لحفظ حاجيات سكان هذه الحجرة من ملابس وخلافه، بينما يترك وسط الحجرة خالياً.

ولم يقتصر الإهتمام بالجانب الزخرفي على داخل المنزل، بل أن ذلك شمل المدخل الرئيسي للمنزل أيضاً، والذي كانت تنفذ على عقده وجوانبه الزخرفة النباتية من ورييدات بالحفر على الرخام أو الحجر (صورة ٢٩).

وكان من المعتاد في زخرفة منازل طرابلس تغطية أجزاء من الجدران وبصفة خاصة جدران الواجهة الخارجية وجدران الفناء الداخلى بالبلاطات الخزفية التي

تكون زخارفها موضوعات يتضح فيها الجمع بين العناصر الزخرفية العثمانية وزخارف شمال أفريقيا وخاصة تونس، وتمثل هذه الزخارف في أشكال عقود حدوة فرس مدبب وفي داخله أشكال عمائر دينية مغطاة بقباب، وعلى جوانبها المآذن والأعلام، أو أشكال مزهريات تتفرع منها تفريعات نباتية من أوراق وزهور، بالإضافة إلى أشكال أشجار السرو التي تحدد جوانب التصميم الزخرفي، وقد على بعضها توقيع الخزاف «الخميري» وتاريخ الصنع (صورة ٣٠).

وهذا النوع من البلاطات كان ينتج في تونس وشاع استعمال في العمائر الدينية والمدنية في طرابلس، نظراً لأن الموضوعات الزخرفية المنقذة عليه تتمشى مع كل منها، حيث أنها تشتمل على رسوم معمارية ونباتية، وكانت مثل هذه الرسوم المعمارية التي تمثل مساجد تستعمل في العمائر المدنية للتبرك. كما كان مثل هذا التصميم يعلو بعض اللوحات الكتابية التي توضع على الجدار الخارجي، والتي كانت تشتمل على عبارات دعائية، أو عبارات من القرآن الكريم، أو بعض معاني الترحيب بالضيف. ومن ذلك نص بناء منزل وزعت كتاباته داخل مناطق مستطيلة تنتهي من الطرفين بأشكال مفصصية، وكتب بداخلها:

بسم الله الرحمن الرحيم - هذه الدار أضاءت بهيمة - فرحاً فرصاً للناظرين -
كتب السعد على أبوابها - أدخلوها بسلام آمين. (صورة ٣١).

٢- الحمامات:

كانت الحمامات العامة شائعة في معظم بلدان العالم الإسلامي بشكل جعل بعض مؤرخي الغرب يتمنى أن تشتمل جميع مدن أوربا الهامة على مثل هذه الحمامات^(١). وكانت الحمامات في البلاد الإسلامية مؤسسات ذات أهمية كبيرة، إذ أنها لم تكن مجرد أماكن للإستحمام فقط، بل كانت مكاناً للترفيه والتسلية، وعقد الصفقات التجارية، وحبك الدسائس والمؤامرات السياسية، كما كانت

(١) جوستاف لوبون: حضارة العرب - الطبعة الثالثة. ص ٣٦٨.

متدييات إجتماعية ترتبط بالعديد من المناسبات، وبصفة خاصة الزواج، وإنهاء فترة تقاس المرأة.

لذلك فقد كان يوكل الإشراف على الحمامات إلى صاحب الشرطة، أى المسئول عن الأمن الداخلى للبلاد، أو إلى الوالى نفسه. كما كان يقوم على خدمة الحمام والمستحمين عدد من العاملين، ومنهم:

* الحمامى: وهو الذى يعطى المستحم المتزر، ويستلم منه ملابسه وحاجياته.

* القيم: يقوم بتنظيف الحمام وتبخيره.

* الوقاد: يتولى إشعال النار لتسخين المياه.

* السقاء: يتولى توصيل الماء إلى الحمام.

* المدلك: يقوم بأعمال التدليك وتليين العضلات.

* المزين: ويقوم بأعمال الحلاقة، بالإضافة إلى بعض الجراحات البسيطة مثل الختان أو إمتصاص الدم الفاسد.

وفى الحمامات الخاصة بالنساء كانت توجد الماشطة والبلاطة اللتان تتوليان تزيين النساء^(١).

وقد روعى فى تخطيط الحمامات إتباع القواعد الصحية حيث قسمت إلى ثلاثة أقسام متدرجة فى درجة حرارتها من الساخنة إلى الدافئة إلى الباردة، حيث ينتقل المستحم بينها دون أن تضر بصحته. وكان البخار يتصاعد فى الغرفة الساخنة من خلال ثقب فى أرضية القاعة، لذلك شاع إستعمال النعال الخشبية (القباقيب) المرتفعة، حتى لا يلحق بالمستحم ضرر من حرارة الأرضية. كما روعى إضفاء لمسات جمالية على الحمامات وزخرفتها بالزخارف المتنوعة، وكذلك بتغطية النوافذ بستائر من الزجاج الملون المعشق فى الجص.

(١) أحمد ممدوح حمدى: معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامى. مجموعات متحف الفن الإسلامى - ٣ - القاهرة - ١٩٥٩. ص ص ٤٠ - ٤٤.

- حمامات طرابلس:

تشبه حمامات طرابلس مثيلاتها في مصر وتركيا وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، إلا أنها أقل في المساحة، وكذلك في قيمتها الجمالية^(١). ومن أهم الحمامات القديمة الباقية بها حمام درغوت، وحمام الحلقة الذي يرجع إلى العصر العثماني، والحمام الكبير الذي يقع في منطقة الأربيع عرصات وتبقت منه القاعة الساخنة والقبّة التي تغطيها، بينما تحولت بقية أجزاء الحمام إلى منشأة تجارية.

- حمام درغوت:

يقع بشارع درغوت بمدينة طرابلس القديمة. وينسب إلى القائد التركي النقد «درغوت» الذي حقق العديد من الانتصارات للجيش العثماني، كما كان ثاني والي عثماني لولاية طرابلس الغرب بعد مراد أغا. ويرجع سبب نسبه إليه أنه ملاصق لجامعه، وليس لأنه الذي أمر بإنشائه، حيث أنه لم ترد أية إشارات في المصادر التاريخية أن درغوت باشا شيد حماماً، وإنما شيد جامعاً وقصراً. بينما وردت إشارات تاريخية تفيد أن عثمان باشا الساقلبي (تولى حكم طرابلس من سنة ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م حتى سنة ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م) قام بإنشاء حمام في مدينة طرابلس في المكان الذي كان يشغله قصر درغوت. كما يؤكد ذلك الكتابات الموجودة على الشاذروان الذي يتوسط قاعة الاستقبال، إذ أنه مسجل عليه أن الذي عمله هو سليمان كتحذا في عهد عثمان باشا، بطرابلس الغرب سنة ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م. وقد عملت هذه الشاذروان على نفس شكل الشاذروان الأصلية، التي تشتمل على نفس الكتابات، والتي قام الإيطاليون بنقلها من الحمام إلى مبنى قلعة طرابلس (السراي الحمراء) التي كانت مقر الحكم والإقامة لحاكم طرابلس، ومازالت موجودة بها حتى الآن. كما ذكر أن إسكندر باشا قام ببناء هذا الحمام في أواخر القرن ١١هـ / ١٧م عندما أعاد بناء مئذنة جامع درغوت باشا.

(١) لايون (ع.ف) مدخل إلى الصحراء. ترجمة الهادي أبر لقمة. الطبعة الأولى. بنغازي - منشورات جامعة قار يونس - ١٩٩٣ - ص ٢٤.

تخطيط الحمام:

يؤدى المدخل إلى عمر منكسر مسقوف بقبو طولى، وينتهى الممر بباب. وقد روعى فى هذا الممر أن يكون منكسراً لأمرين، أولهما حجب من بالداخل، وثانيهما تقليل إندفاع الهواء إلى الداخل. يلى الباب الأخير قاعة الإستقبال حيث يقوم المستحم بتسليم حاجياته، وخلع ملابسه، كما يوجد بها مكان للراحة وشرب المشروبات، وتدخين النارجيلة. ويغضى هذه القاعة قبة كبيرة بها أجزاء مفرغة تغطيها قطع من الزجاج الملون الذى يضى على القاعة إضاءة هادئة مريحة.

أما قاعات الإستحمام فهى ثلاث، الساخنة وتشتمل على مصاطب ساخنة للجلوس أو النوم عليها، وعمل التدليك، وهى قاعة البخار، ويغضيها قبة كبيرة ترتكز على رقبة مثمنة، وبالقبة فتحات مغطاة بالزجاج الملون. ومن الجدير بالذكر أن القاعات الساخنة فى الحمامات تغطى دائماً بقباب، لأن الأشكال المعقرة لها خاصية عكس الأشعة الحرارية للداخل والحد من تبددها^(١). أما الحجرات الدافئة والباردة، فإنه يوجد فى كل منها أحواض (مغاطس) تملئ بالماء الساخن أو البارد للإستحمام، وتغضى هذه القاعات بأقباء طويلة ومتقاطعة.

كما يلحق بالحمام بعض الملحقات، مثل البثر والساقية، وخزان المياه والمكان الذى يتم فيه حرق الأخشاب وغيرها لتسخين المياه (المستوقد) ويعد حمام درغوت من أحسن حمامات طرابلس حالاً، وأكثرها إستعمالاً كما أنه يعد مثلاً لتخطيط الحمام فى طرابلس. والذى لا يختلف عن غيره من الحمامات فى العالم الإسلامى.

ومن الحمامات الشهيرة فى مدينة طرابلس حمام الحلقة، ويقع فى سوق الحلقة (الملابس الصوفية). ويرجع هذا الحمام إلى العصر العثمانى أيضاً، كما أنه يشبه فى تخطيطه حمام درغوت إلا أنه أقل منه مساحة. والحمام الكبير ويقع

(١) ميسان (غاسبرى)؛ العمار الإسلامى فى ليبيا - ص ٢٤٢.

بشارع الأربع عرصات، وقد تحول إلى سوق، ولم تبق من آثاره سوى حجرة كبيرة مغطاه بقبة وهى تمثل قاعة الإستقبال. وقد زالت الكثير من حمامات طرابلس نتيجة لما تتعرض له هذه الحمامات من عوامل التلف مثل الرطوبة وإرتفاع درجة الحرارة، فعند وصف التجانى لمدينة طرابلس فى القرن ٨هـ / ١٤م ذكر أنه يجاور القصبة (القلعة) حمام صغير إلا أنه بلغ من الحسن غايته، وتجاوز من الظرف نهايته، وبالبلد حمامان آخران غيره إلا أنهما فى الحسن دونه^(١). وكان البكرى (ق ٥هـ / ١١م) قد أثنى على حمامات المدينة وقال أن بها حمامات كثيرة فاضلة^(٢).

٣- المنشآت التجارية بمدينة طرابلس

مقدمة:

كان لموقع مدينة طرابلس على ساحل البحر المتوسط أكبر الأثر فى إزدهار حركة التجارة بها، فقد أصبحت وسيطاً هاماً فى التجارة بين البلاد الأوروبية ودول أفريقيا. كذلك كانت طرابلس مقصد الحجيج عند سفرهم وعودتهم إلى بلاد الحجاز، وكذلك القوافل التجارية. وتدل كتابات الرحالة الذين مروا بطرابلس فى مختلف العصور على إزدهار التجارة بها، فقد ذكر ابن حوقل أن «الراكب تحط بطرابلس ليلاً ونهاراً»، وترد بالتجارة على مر الأوقات من بلاد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم^(٣). كما ذكر الرحالة الهولندى «مارمول» الذى زار طرابلس فى القرن ١٠هـ / ١٦م أنها كانت أهم ميناء يتوجه إليه القادمون من مالطة والبندقية وصقلية^(٤) ونتيجة لإزدهار حركة التجارة فى أسواق طرابلس. وإتساع نطاق المعاملات التجارية بها، فقد أنشئت فى طرابلس فى سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٥١م أول محكمة تجارية حيث كانت طرابلس مركزاً للوكلاء التجاريين الأوروبيين والعرب والأفارقة^(٥).

(١) التجانى (أبو محمد عبد الله)؛ الرحلة. ص ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٢) نقولا زيادة (د)؛ ليبيا فى العصور الحديثة. ص ٤٠.

(٣) ابن حوقل (أبو القاسم محمد)؛ المسالك والممالك (صورة الأرض) ليدن - ١٩٣٨. ص ٧٢.

(٤) مارمول (كرينجال) أفريقيا. الجزء الثالث. ترجمة محمد صبحى وآخرون. الرباط - ١٩٨٩. ص ١٢١.

(٥) تيسير موسى: المجتمع العربى الليبى، ص ١٧٠.

وليس غريباً والحال كذلك أن تحفل مدينة طرابلس بالعديد من الأسواق والفنادق لإيواء التجار، خاصة وأن حكام طرابلس فى العصر العثمانى إهتموا إهتماماً كبيراً بالتجارة لما تدره عليهم من نفع.

أ- أسواق طرابلس القديمة،

تحفل مدينة طرابلس القديمة بالعديد من الأسواق. وإن كانت معظم الأسواق الباقية ترجع إلى العصر العثمانى، إلا أن كتابات الرحالة فى الفترات السابقة تدل على أن المدينة كانت بها أسواق عامرة، ومن ذلك قول البكرى «بها أسواق حافلة جامعة»^(١) كما وصفها الإدريسى فى القرن ٦هـ / ١٢م أنها «متقنة الأسواق»^(٢). ومن أهم الأسواق الباقية بها:

- سوق الربع أو الرباع، ويعرف أيضاً بسوق العرب. أنشأه عثمان باشا الساقللى فى الفترة من سنة ١٠٥٩ - ١٠٨٣هـ / ١٦٤٩ - ١٦٧٢م. وسمى بالرباع لأنه تعلوه دور سكنى التجار (رباع)^(٣) ويخصص لبيع الأردية الحريرية الموشاة بخيوط الذهب والفضة.

- سوق الترك: أنشأه محمد باشا شائب العين سنة ١١١٠هـ / ١٦٨٨م. وقد وصفه بعض الرحالة الذين زاروا طرابلس مثل «توللى» و«تخنجال» و«كاوير» الذى زار طرابلس سنة ١٨٩٥م، وذكر «وهى سوق تركية مستقيمة يستطيع المرء أن يشتري منها كل شيء وفيها دكاكين ذات واجهات زجاجية، وإن كانت طبيعة السوق شرقية، إلا أن معظم الحاجيات المعروضة للبيع غربية»^(٤). ويتفرع من هذا السوق سوق الحرير الذى كانت تصنع به الأردية الحريرية التى تباع بسوق الرباع، وهو من أعمال محمد باشا شائب العين أيضاً، ويقع بمحاذاة الواجهة الشهابية الغربية لجامعة الكائن بسوق الترك.

(١) البكرى (أبو عبيد الله)؛ المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب (المسالك والممالك). بغداد. بدون تاريخ. ص ٧.

(٢) إحسان عباس، محمد نجم: ليبيا فى كتب الجغرافية والرحلات. بنغازى - ١٩٦٨ - ص ١٨.

(٣) الطاهر أحمد الزاوى: معجم البلدان الليبية - ص ١٩٨.

(٤) كاوير (هـ. س)؛ مرفق الأهل الجمال. ترجمة أنيس زكى حسن - بدون تاريخ - ص ٤١.

- كما تضم مدينة طرابلس القديمة عدداً من الأسواق تعرف بأسماء الحرف التي تمارس فيها مثل سوق الخردجية (البقالة) وسوق الحلقة (الأردية الصوفية) وسوق القزدازة وهي مأخوذة من كلمة القصدِير الذي تبيض به الأواني النحاسية التي إشتهر بها هذا السوق، وسوق العطارة وسوق الحدادة، وسوق النجارة، وسوق الخبز، وسوق الخضّر، وكان يوجد سوق يسمى «سوق القمل» عند تقاطع سوق الترك مع رنقة الريح، وتباع فيه الملابس المستعملة، وسوق البنادق، وسوق البلاغجية (النعال) وسوق الصباغة، وسوق الفيندة لنسج وبيع الأردية النسائية، والسوق الجديد (الشيّمة) الذي أنشأه أحمد باشا القرمانلي شمال قلعة طرابلس. كما أضاف ولاية طرابلس في العصر العثماني الثاني بعض الأسواق، منها ما هو داخل أسوار المدينة مثل سوق المشير الذي أنشأه رجب باشا (١٩٠٦ - ١٩٠٨م) ومنها ما هو خارج السور مثل سوق العزيزية الذي أنشأه علي رضا باشا سنة ١٨٦٧م وسوق الحميدية الذي أنشأه أحمد عزت باشا^(١) أما عن تخطيط أسواق طرابلس القديمة فهي عبارة عن مجموعة من الحوانيت مستطيلة الشكل حول ممر يتوسطها، ويتقدم كل حانوت مصطبة تعرض عليها بعض البضائع كما يجلس عليها البائع في أوقات الراحة. أما الممر الأوسط فإنه يكون مكشوقاً في حالة الأسواق، وتتم تغطيته بقطع من القماش السميك لتفادي الحرارة والمطر. ولكن مدينة طرابلس تضم بعض القيساريات (البازارات) وهي تختلف عن الأسواق أن لها أبواب تغلق عليها عند نهايتي الممر الذي يتوسط الحوانيت، كما أن الممر يكون مسقوفاً بأقباء متقاطعة وتتخلله فتحات للإضاءة والتهوية، أي أنه يشكل وحدة معمارية مستقلة. ولا زالت معظم هذه الأسواق قائمة وتؤدي نفس النشاط الذي إختصت به من قبل. وما يجدر ذكره أن منتجات مدينة طرابلس ودواخلها ظهرت لأول مرة في معرض أوربي سنة ١٨٥١^(٢).

(١) عن أسواق طرابلس، أنظر: سعيد على حامد: التجارة والأسواق في طرابلس عبر التاريخ. مجلة تراث الشعب - السنة الحادية عشرة - العدد الرابع - طرابلس ١٩٩١ - ١٩٩٢ ص ١١٣ - ١٣٣.
- تيسير موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني. ص ١٩٣.
(٢) سعيد على حامد: المعالم الإسلامية - ص ٣٢.

يماثل مبنى الفندق في غرب العالم الإسلامي الوكالة في مصر والحان في بلاد شرق العالم الإسلامي، فهو مكان لإيواء التجار، حيث كانوا يضعون بضائعهم في الطابق الأسفل، بينما الطوابق العليا للمبيت، ويغلقون غرفهم بأقفال رومية. وكلمة فندق مأخوذة من الكلمة اليونانية Pandokeion^(١). ومعناها يقبل الجميع من Pan أى كل، و dochonai أى قبل^(٢).

وتشير الكتابات إلى أن مدينة طرابلس كانت تضم العديد من الفنادق خلال فترات الحكم الإسلامي، وذلك لاستيعاب الأعداد الكبيرة من التجار التي كانت تزداد إليها، واستمر ذلك حتى إحتلال الإيطاليين للمدينة، فجاء في إحصائية عن عمائر مدينة طرابلس أن بها في ذلك الوقت - ٣٥ فندقاً^(٣). ولكن عدداً من هذه الفنادق قد أصابه الدمار نتيجة الحروب (الحرب العالمية الأولى والثانية) أو بفعل عامل الزمن، مما تطلب تجديده بحيث أصبح لا يحتفظ بشئ من معالمه الأصلية مثل فندق حواصر، كما أن بعضها مستخدم من قبل بعض الحرفيين في ممارسة بعض الأنشطة الحرفية مثل عمال النسيج أو المرخمين، أو كمسكن لبعض العائلات. وما يذكر أنه كان للفندق حراس يقومون بإغلاق أبواب الفنادق في وقت مبكر من الليل، ولا يسمح لأحد بدخول أو مغادرة الفندق بعد ذلك إلا عند أذان الفجر.

التخطيط للمباني الفندقية

تتكون معظم الفنادق القديمة في مدينة طرابلس من طابقين. ويعتبر الفناء الأوسط المكشوف محور التخطيط حيث يحيط به من أربع جهات أو ثلاث جهات في بعض الأحيان رواق من عقود دائرية أو حدة الفرس محمولة على أعمدة أو

(١) آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - تعريب محمد عبد الهادي أبو ريلة. ط٢. ص ٣٨٧.

(٢) طوبيا العيسى: تفسير الألفاظ. ص ٥٣.

(٣) فراثيسكو كورو: ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني - تعريب خليفة التليسي. ص ١٢٨.

دعائم. ويتوسط أفنية بعض الفنادق فوارة (نافورة) أو حوض رخامي للمياه متصل بئر للمياه. وخلف الرواق يوجد فى الطابق الأرضى مجموعة الحوانيت التى يتم فيها خزن وعرض البضائع، بينما يشكل الرواق فى الطابق العلوى شرفة تتقدم الحجرات المخصصة لمبيت التجار. كما يشتمل الفندق على المرافق الضرورية مثل دورة المياه والمطبخ وإسطبل للدواب حيث كانت تأوى الخيول والجمال الخاصة بالتجار، كما كانت بعض الفنادق تقوم بتأجير الخيول للسفر إلى الدواخل^(١)، ومقهى، كما وجد فى بعض الفنادق مصلى. ويؤدى إلى الفندق فتحة باب معقودة تؤدى إلى عمر مقبى أما يقبى طولى أو أقباء متقاطعة، على أحد جوانبه يوجد الدرج المؤدى إلى الطابق الأعلى، وعلى الجانب الآخر معجرتان أحدهما تستعمل مقهى بينما كانت الحجرة الأخرى مخصصة لإقامة الحراس والقائمين على إدارة الفندق. وكانت بعض الممرات منكسرة مثل ممر فندق الهنشىرى. وينتهى الممر إلى الفناء الأوسط المكشوف. ويذكر «ميسانا» فى كتابه العمار الإسلامى فى ليبيا أن فندق الزهر الذى يعد مثلاً لطراز الفنادق فى طرابلس، يشبه فى تخطيطه أديرة القرن ١٥م بتوسكانا فى إيطاليا^(٢). إلا أن هذا التخطيط لا يختلف مطلقاً عن تخطيط الوكالات والخانات فى مختلف بلدان العالم الإسلامى، كما أنه لا يختلف عن تخطيط المنزل الإسلامى إلا فى عنصر المدخل المنكسر فى المنزل، وفى التقسيم الداخلى للحجرات.

أهم الفنادق الأثرية:

- فندق بن زكرى:

يقع فى مواجهة سوق النصاغة، كما تمتد واجهته مطلة على سوق العطارة وشارع طريق الحلقة. وينسب إلى مصطفى بن زكرى الذى ولد بمدينة طرابلس سنة ١٨٥٣م ومات بها سنة ١٩١٧م، وقد تلقى تعليمه بمدرسة عثمان باشا

(١) فرانثيسكو كورو: المرجع السابق - ص ١٢٩.

(٢) ميسانا (غامبرى)؛ العمار الإسلامى فى ليبيا - ص ٢٤٤.

بطرابلس، وكان عضواً بمجلس إدارة الولاية، ورئيساً لمكتب الفنون والصنائع، كما عمل بالتجارة^(١). أما مؤسس الفندق فهو على أفندي الذى تشتمل اللوحة المثبتة أعلى مدخل الفندق على اسمه.

يؤدى باب الفندق الذى يوجد فى الجدار الشمالى الشرقى إلى دركاه مغطاة بثلاثة أقباء متقاطعة، وتنتهى الدركاه إلى الفناء الأوسط، وهو مستطيل أبعاده ١١,٧٠ م × ٨,٣٠ م يحيط به رواق من ثلاث جهات معقودة بعقود حدوة فرس ترتكز على أعمدة ذات تيجان حفصية وقرمانلية الطراز، بينما يشغل الجانب الرابع دورات مياه مضافة حديثاً. وخلف الرواق فى الجهات الثلاث الأخرى توجد مجموعة الحوانيت. ويشغل الطابق الثانى رواق من أربع جهات يشكل شرفة تطل على الصحن، وخلفها مجموعة من الحجرات مستعملة حالياً كورش للصاغة.

- فندق الزهر:

شيده الوجهه قرجى فى أواخر العصر القرمانيلى ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م، وهو إن كان يتبع نفس أسلوب تخطيط فنادق طرابلس، إلا أنه يتميز بأن فقاؤه مستطيل الشكل وليس مربعا كبقية أفنية فنادق طرابلس، كما يتميز بالإطارات الحجرية التى تحدد عقد المدخل، والتكسية بالبلاطات الخزفية التى تغطى كوشتى عقد المدخل^(٢).

ويقع فندق الزهر بسوق المشير بمدينة طرابلس القديمة، وقد أطلق عليه فندق الزهر لأنه كانت تودع به الزهور التى ترسل إلى إستانبول لإستخلاص العطور منها^(٣). وكان الفندق ملكاً لعائلة قرجى.

يتكون الفندق من طابقين حول فناء أوسط مستطيل يحيط به رواق من ثلاث

(١) الطاهر أحمد الزاوى: اعلام ليبيا. مكتبة الفرجانى - طرابلس - ١٩٦١. ص ٣٤٠ - ٣٤٣.

(٢) ميسانا (غاسبرى): المرجع السابق - ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) كورو (فرانثيسكو): فنادق طرابلس القديمة المميزة. توجمة محمود النائب. مجلة آثار العرب. العدد الاول - طرابلس. سبتمبر ١٩٩٠. ص ٨٨.

جهات، من عقود نصف دائرية محمولة على أعمدة ذات تيجان من النوع الحفصى والقرمانلى بينما يتقدم حجرات الطابق الثانى رواق يشكل شرفة تطل على الفناء الأوسط من أربع جهات. ويؤدى إلى الفندق فتحة باب معقودة بعقد نصف دائرى تؤدى إلى عمر مسقوف بثلاثة أقبية متقاطعة. وعلى جانب الممر الدرج المؤدى إلى الطابق العلوى، بينما يوجد على الجانب الآخر منه مقهى. (شكل ١٤).

- فندق الهنشيرى:

يوجد أعلى المدخل المؤدى إلى الفندق لوحة تشتمل على ثلاثة أسطر من الكتابة وتشير إلى مؤسس الفندق وهو «المحترم التاجر الحاج محمد بن الحاج على الهنشيرى»، كما تشتمل على تاريخ التأسيس وهو سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م.

ويقع الفندق بسوق الترك إلى الجنوب الغربى من جامع شائب العين. ويستدل من البقايا المعمارية للفندق أنه كان مكونا من طابقين، وأن الحوانيت فى الطابق الأسفل كانت تطل على الفناء مباشرة ولا يتقدمها رواق، أما الطابق الأعلى فكانت تتقدمه شرفة من جهة واحدة فى الجهة الشمالية الشرقية. ويتميز الفندق بأن له عمر منكسر يلى الباب، على أحد حوائبه الدرج المؤدى للطابق الأعلى.

- فندق زميت:

يوجد على يمين المدخل لوحة حجرية تشتمل على ثمانية أسطر من الكتابة وأسفلها تاريخ الإنشاء وهو سنة ١١٨٣هـ / ١٧٣٥م.

يقع الفندق بشارع مخزن الرخام بالقرب من جامع قورجى وقوس ماركوس أوريليوس.

ويطابق الفندق فى تخطيطه لمراز الفنادق الطرابلسية، فتؤدى إليه فتحة باب

معقودة بعقد نصف دائرى، تؤدى إلى ممر يشغل أحد جوانبه الدرج المؤدى إلى الطابق الأعلى، بينما يشغل الجانب الآخر حاصلان. وينتهى الممر إلى الفناء الأوسط المكشوف، يحيط به رواق من أربع جهات، يتكون من عقود نصف دائرية، محمولة على أعمدة ذات تيجان من النوع القرمانلى. وفي الطابق العلوى يكون الرواق شرفة تتقدم الحجرات من أربع جهات. (صورة ٣٢).

- فندق ميزران:

أنشأه رمضان ميزران الذى أنشأ جامع ميزران خارج أسوار مدينة طرابلس القديمة، يقع بطريق الحلقة بمدينة طرابلس القديمة.

ويتبع الفندق التخطيط السائد فى فنادق طرابلس، ولكنه يتميز بأن كوشة عقد المدخل مكسوة ببلاطات القاشانى ذات الزخارف النباتية المتعددة الألوان كما أن الرواق المحيط بالفناء يتميز بأن عقود فى الطابق الثانى محمولة على دعائم قطاعها مربع وليس على أعمدة. كما أن دركاة المدخل مغطاة بسقف مسطح وليست مقببة بأقباء طولية أو متقاطعة، كذلك الحجرات جميعها ذات أسقف خشبية مسطحة.

- فندق العدلونى:

يقع بشارع الفيندة.

يتفق هذا الفندق من حيث التخطيط مع الفنادق القديمة بمدينة طرابلس فى عدة مظاهر، ومنها: المدخل المعقود، والدركاه التى تليه والمغطاة بأقبية متقاطعة وكذلك أنه يتكون من طابقين. إلا أنه يتميز عنها فى أنه يشتمل على فنائين تتوزع حولهما بقية الوحدات، أحد هذين الفنائين مستطيل والآخر مربع. وتحيط الحجرات بالفناء المستطيل من أربع جهات فى طابق واحد ولا يتقدمها رواق وإنما توجد ظلة أو سقيفة فى الجانب الشمالى الشرقى منه محمولة على أربعة أعمدة خشبية. أما الفناء المربع فإنه يحيط به رواق من ثلاث جهات، خلفه مجموعة

الحجرات فى طابقين. ونظراً لأن الفندق منقسم إلى قسمين، فإن الدرج المؤدى إلى الطابق الثانى يوجد فى الجانب الشمالى الشرقى فى الفناء المربع.

كما تضم مدينة طرابلس القديمة عدداً آخر من الفنادق، من أهمها: فندق الطوبجية بزقة زى الموميا المتفرعة من شارع الفتيقة، وفندق سيالة بشارع الفتيقة، وفندق أبو دلفوسة فى زقة الحلقة المتفرعة من طريق الحلقة وفندق الغدامسية بشارع الفتيقة، وفندق حواص بنفس الشارع.

ويلاحظ أن معظم هذه الفنادق قد طرأت عليها أعمال تجديد وأضافة، وتغيرت بعض معالمها الأصلية، كما أن معظمها يحتاج إلى أعمال الصيانة والترميم.

جـ. القنصليات القديمة بمدينة طرابلس،

من المعلوم أن القنصلية تدخل فى نطاق العلاقات الدبلوماسية بين الدول فهى من المنشآت التى تؤدى دوراً سياسياً، كما أنها تؤدى مهام متنوعة منها الحفاظ على رعايا الدولة التابعة لها، وتيسير قيامهم بطقوسهم الدينية، كما أنها تؤدى دوراً تجارياً هاماً. ولعل ذلك يتضح من مراجعة المادة الرابعة للمعاهدة الموقعة بين كل من محمد باشا القرمانيلى وإنجلترا وذلك فى ٢٩ شوال سنة ١١٦٤هـ/ ١٧١٤م والتى نصت على «للتجار رعايا إنجلترا فى طرابلس حق بيع البضاعة الواردة من الخارج فى دار القنصلية وأن يحصل القنصل الضرائب منهم»^(١).

أما قيام القنصلية بالدور الدينى، فإنه يتضح من المادة الرابعة عشرة من المعاهدة المبرمة بين يوسف باشا القرمانيلى، وبين الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك فى ٦ ربيع الأول سنة ١٢٢٠هـ/ ٤ يونيو ١٨٠٥م، وتنص على «إحترام الطرفين للطقوس والتقاليد الدينية، ومزاولة رعايا الطرفين لطقوسهما فى دور القناصل»^(٢).

(١) ميكاكى (دودلفو) طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القره مانلى. ترجمة طه فوزى مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخربوطلى. القاهرة. جامعة الدول العربية - ١٩٦١. (الملحق الوثائقى إعداد كمال الدين الخربوطلى) ص ٩.

(٢) ميكاكى (دودلفو)؛ نفس المرجع - ص: ٤٧.

ولم تكن حماية القنصلية قاصرة على رعاياها فحسب، بل أنها كانت توفر الرعاية لكل من يلجأ إليها. ومن الحوادث الطريفة في هذا الشأن أن فاطمة التي كانت الخادمة المحببة إلى اللالة حلومة والدة كل من يوسف القرماني الذي تولى حكم طرابلس، وحسن القرماني الذي قتله يوسف، قد حدث خلاف بينها وبين يوسف باشا القرماني، وذلك بعد أن حكيت قصة إغتيال يوسف القرماني لأخيه حسن، كما راحت تلوم يوسف لمعاملة السيئة لأبناء أخيه القتل، فأهدر يوسف دمه، مما اضطرها إلى الهرب، وما أن وصلت إلى أقرب قنصلية، وهي قنصلية البندقية، ولمست بأصبعها باب القنصلية، فكان ذلك كافياً لتقديم الحماية لها. وذهب القنصل إلى يوسف وطلب منه إلغاء الحكم الصادر ضد فاطمة، فوافق، وعادت فاطمة خادمة لأمه «لالة حلومة»^(١).

أهم القنصليات القديمة بطرابلس:

القنصلية الفرنسية: تقع في زنقة الفرنسيين بمنطقة باب البحر وتعد من أهم القنصليات القديمة، وذلك لأنها أقدمها تاريخاً، وأحسنها حالاً، فقد أنشئت في سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣٠م وذلك في عهد مصطفى شريف، ثاني داي عثمانى يتولى حكم طرابلس بعد صفرداي، واستمر في الحكم من سنة ١٠٣٠هـ / ١٦١٩م حتى سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣٠م^(٢).

ولبنى السفارة قيمة تاريخية وأثرية، إذ أن إحتفاظها بعناصرها المعمارية والتزخرفية يمكن التعرف منه على طراز القنصليات في طرابلس.

القنصلية الإنجليزية: على الرغم من أن العلاقات بين إنجلترا وطرابلس قد شهدت تقدماً في العصر العثماني الأول، إلا أن تأسيس مبنى للقنصلية الإنجليزية في طرابلس لم يحدث إلا في الربع الأخير من القرن ١١هـ / ١٧م، فقد كانت الأمور المتعلقة بمختلف العلاقات بين إنجلترا وطرابلس يقوم برعايتها القنصل

(١) تولى (أ) عشرة أعوام في طرابلس - ص ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٢) مجموعة: تاريخنا - ليبيا. الكتاب الخامس - ص ٥٥.

الإنجليزى فى الجزائر «جون تيپون John Tipton»، وذلك بعد أن أسست إنجلترا قنصلية لها فى الجزائر سنة ١٥٨٥م. كما أن إنجلترا أرسلت صمويل توكر Sam-ual Taker قنصلاً لها فى طرابلس، وقام بإدارة الشؤون القنصلية لبلاده ما بين سنة ١٦٥٨م وسنة ١٦٦٨م^(١). إلا أن هناك رأى بأن أقدم قنصلية لإنجلترا فى طرابلس ترجع إلى سنة ١٦٧٨م وذلك بعد الحملة البحرية التى قام بها «بليك Blake على ميناء طرابلس»^(٢).

القنصلية الهولندية: أقيمت فى العصر العثمانى الأول، وعلى وجه التحديد فى الفترة التى إستطاع فيها «على الروملى الجزائرى» من الوصول إلى حكم طرابلس (١٠٩٣ - ١٠٩٥هـ /) فقد عقد صلحاً مع الهولنديين سنة ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م وفتح أول قنصلية لهولندا فى طرابلس^(٣).

قنصلية البندقية: تقع فى رنقة القمرى بالقرب من مسجد درغوت باشا بمدينة طرابلس ويتضح من حجة صادرة من محكمة طرابلس الشرعية بتاريخ آخر محرم ١٢١١هـ، الموافق ٦ أغسطس ١٧٩٦م، أن الدار التى أقيمت بها هذه القنصلية كانت ملكاً لـ «لالة حلومة» أم يوسف باشا القرمانلى ثم باعها ليوسف القرمانلى^(٤).

١. التكوين المعماري لمبنى القنصلية؛

أوردت الكاتبة توللى التى قضيت عشر أعوام فى مدينة طرابلس، أقامت خلالها فى مبنى القنصلية الإنجليزية التى تقع بشارع الاكواش (المخابز) بمنطقة باب البحر، وصفاً تفصيلياً لمبنى القنصلية، يظهر من خلاله أن القنصلية ظلت محتفظة بالعناصر المعمارية الأساسية لها، فهى عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل

(1) Godfreg (F); Barbaux Legned War, Trade and Piracg in Nor th Africa, 1415 - 1830. Oxford, 1927. P. 308.

(٢) توللى (١)؛ المرجع السابق - ص ص ٢١ - ٢٢.

(٣) مجموعة : تاريخنا - ليبيا. الكتاب الخامس - ص ٥٧.

(٤) ميكائى (رودلفر)؛ المرجع السابق - هامش ص ١٤٠.

يؤدى إليها بابان يقضى كل منهما إلى سقفة أو عر مسقوف على جانبيه مصاطب الجلرس أصحاب المطالب وغيرهم حتى يؤذن لهم بالدخول. وينتهى الممر إلى فناء أوسط مكشوف تتوسطه فوارة وحوض زهور محاط بأشجار. ويحيط بالفناء خلفه مجموعة من الحجرات مخصصة للخدم والموظفين الذين كانت تقدمهم الولاية إلى القنصلية، لخدمة القنصل وأفراد أسرته وحمايتهم، كما يوجد بهذا الطابق الأرضى المطبخ والمخزن والسجن الخاص بالقنصلية. وفى أحد جوانب هذا الطابق يوجد الدرج الذى يؤدى إلى الطابق الذى يتكون هو الآخر من شرفة تطل على الصحن، وخلفها مجموعة الحجرات الخاصة بإقامة القنصل وأفراد أسرته. ومن يأويهم من أبناء دولته. ويلاحظ فى مباني كافة القنصليات قربها من البحر وذلك لمتابعة السفن القادمة أو المغادرة لميناء طرابلس^(١).

كما يلاحظ فى عمارتها إشتغالها على بعض العناصر المعمارية الأوروبية.

ويتضح من الوصف المعمارى للقنصلية أنها تتفق فى التخطيط مع المنازل والفنادق من حيث وجود فناء أوسط يعد محور التخطيط، تتجمع حوله بقية العناصر والوحدات المكونة لمبنى القنصلية.

* * *

(١) تولى (١)؛ المرجع السابق - ص ٣٨.

العمارة الحربية بطرابلس

كان للموقع المتميز لمدينة طرابلس على ساحل البحر المتوسط أكبر الأثر في الظروف السياسية التي واجهتها، والتي أثرت بدورها على الإتجاهات العمرانية للمدينة وخاصة العمارة الحربية حيث كانت طرابلس مطمعا دائما للقوى الأجنبية، مما دفع الحكام وكذلك الأهالي إلى الإهتمام بتحصين المدينة. وقد تبقت بمدينة طرابلس بقايا من السور الذي كان يحيط بها من الشرق والجنوب والغرب. وقد بنى هذا السور في البداية في عصر الإمبراطور الروماني سبتيموس سيفيروس (١٩٣ - ٢١١م)^(١). ونظرا لما أصاب هذا السور من تهدم لبعض أجزائه، فقد أعاد عبد الرحمن بن حبيب والي أفريقية بناؤه في سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م من جهاته الثلاث، إلى أن قام سفيان بن المضاء، والي هرثمة بن أعين على طرابلس بإضافة الضلع الرابع المواجه للبحر^(٢). كما تم تأسيس أول رباط للجند في شمال أفريقيا في عهد هرثمة بن أعين، وكان ذلك بمدينة طرابلس سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م، أي قبل الرباط الذي أنشأه نفس الوالي بالمنستير بتونس سنة ١٨١هـ/ ٧٩٧م^(٣).

(١) ولد سبتيموس سيفيروس بمدينة لبة الليبية سنة ١١٤م، وتعلم في روما ثم التحق بالجيش الروماني سنة ١٦٤م، وترقى في المناصب حتى صار نائبا عن لبة بمجلس الشيوخ بروما، إلى أن صار إمبراطورا سنة ١٩٣م. وقد أقام عدة إصلاحات بليدة وغيرها من المدن الليبية وذلك سنة ٢٠٣م. من أهمها قوس النصر الذي يحمل اسمه بمدينة لبة. وقد توفي بمدينة يورك في إنجلترا في ٤ فبراير سنة ٢١١م (انظر نجم الدين غالب الكليب: مدينة لبة. الإسم والنشأة والتاريخ. طرابلس ١٩٨١. ص ص ١٩١ - ١٩٣).

(٢) الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا - مصر ١٩٥٤ - ص ٣٥.

(٣) عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن ١٦ - ١٩م. القاهرة - ١٩٥٨ - ص ١٦.

وفى فترة حكم الأغالبة لطرابلس (١٨٤ - ٢٩٦هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩م) كانت المحارس والمراقب والرباطات والقلاع منتشرة على طول ساحل البحر المتوسط، ولكن معظمها قد زال بفعل بعض العوامل السياسية ومن أهمها هجوم قبائل بنى سليم وبنى هلال على الشمال الأفريقى حيث تلقت طرابلس الضربة الأولى، وكذلك هجوم القوى الأوربية المتكرر على طرابلس.

لذلك فقد بقى سور المدينة من أهم معالم العمارة الحربية بها فى مختلف العصور، فعند زيارة الرحالة «البكرى» لطرابلس وصفها قائلاً «وعلى طرابلس سور ضخمة جليل البناء»^(١). ويدل حديث «التجاني» عن طرابلس أن سورها كان فى حالة جيدة، حيث قال «ورأيت بسورها من الإعتناء وإحتفال البناء مالم أره لمدينة سواها. كما قدم التجاني وصفاً لتكوين السور فذكر أنه يتكون من سور أمامى، يليه سور أقل منه إرتفاعاً (فصيل) يعرف بالستارة ويتخلل السور والفصيل مجموعة من الأبواب، وهى الباب الأخضر (باب زناتة) وباب الستارة أو باب عبد الله نسبة إلى عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب الذى فتح هذا الباب بالسور، وباب هواره، وباب البحر»^(٢). كما أشاد الحسن الوزان الذى زار طرابلس فى القرن ١٠هـ / ١٦م بأسوار المدينة ومئاتها.

وفى العصر العثمانى الأول ونتيجة لتزايد أعمال القرصنة التى كان يمارسها الإسطول الليبى فى البحر المتوسط، وتحسب الولاة العثمانيون من هجوم الدول الأوربية على طرابلس، فقد إزداد الإهتمام بتحسين المدينة وتقوية أسوارها. ومن هذه الأعمال الحصن الذى أنشأه مراد أغا أول الولاة العثمانيين لطرابلس فى الجانب الشمالى الشرقى للمدينة^(٣). وكذلك الإصلاحات التى قام بها درغوث باشا والتى شملت الستارة الجنوبية الممتدة من القلعة حتى الباب الجديد، وإنشاء برج التراب فى الجانب الشمالى الغربى من السور. وتشير لوحة رخامية محفوظة

(١) البكرى (أبو عبد الله)؛ المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب. الجزائر ١٨٥٧. ص ٧.

(٢) التجاني (أبو محمد عبد الله)؛ المرجع السابق. ص ٢٣٨.

(٣) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق - ص ١٨٣.

بمحتف الفن الإسلامى بطرابلس عليها كتابات باللغة التركية إلى أن «صفرى»
قام فى سنة ١٠٢٢هـ / ١٦١٣م بتجديد باب البحر. وفى سنة ١٠٧٢هـ /
١٦٦١م قام عثمان باشا الساقزلى بإضافة خمسة أبراج على السور المواجه للبحر،
كما أحاط حصن المندريك الذى يحمى الميناء من الجهة الشمالية الغربية بسور على
شكل هلال^(١). (شكل ١٥).

ولم يقل إهتمام القرمانيين بتحصين مدينة طرابلس عن سابقهم، ففى عهد
أحمد باشا القرمانيلى تم إصلاح وتجديد حصن المندريك الذى أنشأه عثمان باشا
الساقزلى، وأنشأ الحصن الذى كان يطلق عليه حصن الفرنسيس أو الحصن
الفرنسى، والذى يبعد خمسين ذراعاً عن السور الشمالى للمدينة، أمام برج
التراب الذى أنشأه درغوت وإستخدمه الماريشال «دى إستراى» أثناء إغاراته على
طرابلس سنة ١٦٨٥م^(٢). كما نالت أسوار المدينة إهتمام أحمد القرمانيلى تحسباً
لهجوم فرنسا على طرابلس، فقام بتقوية الأسوار التى كانت محصنة بستة أبراج،
كما كان يتخللها بابان، أحدهما فى الجهة الجنوبية وهو باب المنشية والآخر فى
الجهة الغربية تجاه الميناء وهو باب البحر^(٣). وبالفعل تعرضت طرابلس سنة
١٧٣٨م لهجوم فرنسى عنيف أدى إلى تدمير أكثر من ثلث المدينة ومن ضمنها
الأسوار، ويبدو أن هذا الدمار الذى تعرضت له الأسوار ظلت تعاني منه فترة
طويلة، فعند وصف القنصل الفرنسى لطرابلس سنة ١٢٠١هـ / (فترة حكم على
باشا الأول بن محمد باشا القرمانيلى) ذكر «... وأسوار المدينة إنهارت كلها،
والحصون آخذة فى التدهاعى، وليست طرابلس الآن سوى صحراء موحشة»^(٤).
وفى عهد يوسف باشا القرمانيلى تم إصلاح الأسوار ابتداءً من السور المواجه
للبحر^(٥).

(1) Aurigemma (S); DP. cit. P. 259.

(٢) ميكاى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ٤٥.

(٣) ميكاى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ٤١ - ٤٤.

(٤) مجموعة: ليبيا - ج ٥ - ص ٧٤ - ٧٥.

(٥) ميكاى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ١٣٤.

وفى العصر العثمانى الثانى إهتم الولاة بإصلاح وترميم الأسوار وفتح أبواب جديدة بها، ففى سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٥م قام الوالى أحمد عزت بفتح باب بالسور عرف بالباب الجديد، كما تم فى ذلك العصر، وبالتحديد فى سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م فتح باب الحرية^(١). (شكل ١٦).

- قلعة طرابلس:

تشغل القلعة الركن الجنوبى الشرقى من مدينة طرابلس القديمة. وتعتبر من أهم معالم المدينة، وكذلك من أهم العمائر الحرية الباقية بها، كما تعتبر سجلاً حياً لتاريخ المدينة فى فترات تاريخية عديدة. وتختلف الآراء حول الأصول الأولى لبناء القلعة، فهناك رأى بأنها ترجع إلى العصر الرومانى، وآراء أخرى بأنها ترجع إلى العصر البيزنطى. وأى كان تاريخ بنائها، فإن أقدم الآثار الباقية بها ترجع إلى فترة الإحتلال الأسبانى لمدينة طرابلس (١٥١٠ - ١٥٣٠م)، فقد إهتم الأسبان بتحسين القلعة لمواجهة الأساطيل العثمانية التى كانت تقوم بإغارات على معاقل الأسبان على البحر المتوسط. ومما زاد من إهتمام الأسبان بتحسين القلعة أن الأساطيل العثمانية أصبحت على مقربة منهم، خاصة بعد أن تمكن العثمانيون من غزو مصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، والمغرب الأوسط (الجزائر) سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م. وبعد رحيل الأسبان عن طرابلس وتنازلهم عنها لفرسان مالطة (فرسان القديس يوحنا) سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م تمكن العثمانيون من الإستيلاء على تونس سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م. ومن الإصلاحات التى قام بها الأسبان بالقلعة إصلاح البرجين اللذين يطلان على مدينة طرابلس وأطلقوا على أحدهما برج القديس يعقوب. كما أطلقوا على الآخر برج القديس جورج، وسمى الفناء الذى يلى ردهة المدخل «ساحة القديسة بربارا»^(٢). كما قام الأسبان بتحويل إحدى قاعات القلعة إلى كنيسة عرفت بكنيسة «ليوناردو».

(١) سعيد على حامد: المرجع السابق - ص ٢٦ - ٣٠.

(٢) سعيد على حامد: المرجع السابق. ص ٢٤.

وقد شهدت القلعة العديد من الإصلاحات خلال فترات الحكم العثماني لطرابلس، فبعدما تمكن العثمانيون من طرد فرسان مالطة (فرسان القديس يوحنا) من طرابلس سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م صارت القلعة مقراً للحكم مثلما كانت عليه من قبل^(١). وبالتالي فقد كان الإهتمام بتحصين القلعة لتحقيق هدفين؛ الدفاع عن المدينة وحمايتها، والحفاظ على ملكهم وأنفسهم من الإعتداءات الخارجية وثورات المتمردين فى الداخل. وقد بدأت هذه الإصلاحات مع بداية الحكم العثماني لطرابلس، حيث قام مراد أغا - أول ولاية العثمانيين فى طرابلس - بإصلاح وترميم القلعة^(٢). وإهتم درغوت بإصلاح القلعة وشيد بها برجاً مكان البرج الذى أطلق عليه فرسان مالطة برج القديس بطرس، وأطلق عليه برج درغوت، كما أقام فى الجانب الجنوبي من القلعة دار البارود، إلى جانب باب المنشية، لكنها لم تكتمل فى عصره وإنما أكمل بناؤها خليفته «قليج على» سنة / ١٥٦٥م، ويوجد مكانها الآن سوق الصناعات المحلية^(٣). وقد أدى إقامة تلك الدار فى ذلك المكان إلى سد الثغرة التى كانت بين سبور المدينة والحي اليهودى، التى سبق وإستفاد منها الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى الهجوم على طرابلس.

وتوالى إصلاحات حكام العصر العثماني الأول على القلعة ومنها تحويل الكنيسة التى إستحدثها الأسبان فى إحدى قاعات القلعة إلى مسجد، وكان ذلك فى فترة حكم مراد أغا، إلا أنه فى فترة حكم «محمد باشا الساقزلى» تم ترميم وإصلاح هذا المسجد، وتشير إلى ذلك لوحة رخامية محفوظة بالمتحف الإسلامى فى طرابلس.

وفى العصر القرماتلى أضيفت مبان جديدة للقلعة منها دار لسك العملة

(١) عند حديث التجانى عن رحلته إلى طرابلس ذكر أنه نزل فى ضيافة الوالى الحفصى فى قصبة البلد (القلعة) أنظر: التجانى: الرحلة - ص ٢٣٧.

(٢) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق - ص ١٨٣.

(٣) خليفة محمد التليسى: حكاية مدينة. ص ٧٩ - ٨٠.

«ضربخانة» ومبان جديد للسكنى حول بهو يعرف الآن بالبهو القرمانيلى، كما اعتنى بزخرفتها ببلاطات القاشانى التركية والأوربية شبيهة بما هو موجود فى كل من جامع أحمد باشا القرمانيلى وجامع قورجى، وكذلك بالزخارف الجصية التى تمثل بوائك من العقود الصماء التى تتركز على أعمدة، وهو النمط الزخرفى الذى شاع فى العمارة الدينية والمدنية منذ العصر العثمانى الأول.

وأصبحت القلعة فى العصر القرمانيلى عبارة عن مساحة مربعة تتخللها أربع فتحات أبواب، بابان نحو المدينة، وبابان خلفيان، أحدهما تجاه الميناء، والآخر يفتح على الأراضى الزراعية التى تجاور القلعة^(١)، وتضم بداخلها قاعات العرش، ومكاتب كبار موظفى الولاية، ومسكن الحاكم وأفراد أسرته وأتباعه والخدم، حيث كانت تضم القلعة مخازن ومطاحن للغلل ومخبز، كما كان ملحقاً بها حمام وصيدلية، وسجن للأسرى. كما يدل حديث الطبيب «جوناثان كودرى» الذى بقى أسيراً فى القلعة من سنة ١٨٠٣م إلى سنة ١٨٠٥م أنه كان بالقلعة مستشفى صغير (صورة ٣٣).

وفى فترة الاحتلال الإيطالى لطرابلس كانت القلعة مقرّاً للحكم أيضاً، وتم بناء المعبر الذى يربط بين الجزء القديم من مبنى القلعة والذى كان مقرّاً للحكم، والأجزاء التى بنيت فى العصر القرمانيلى وكانت مسكناً لأفراد البيت القرمانيلى وأسرهم وأتباعهم. كما تم تجميل أفنية القلعة بالنافورات التى جلبت من منازل طرابلس القديمة، ومنها النافورة التى جلبت من منزل عثمان باشا الساقزلى وتوجد فى الفناء الذى يتقدم القسم القرمانيلى من القلعة. (صورة ٣٤).

ويشغل القلعة الآن إدارات مصلحة الآثار الليبية، كما كان ملحقاً بها عدد من المتاحف إلا أنها هدمت وأقيم مكانها متحف واحد يضم التراث الليبى فى مختلف العصور، ويعرف بالمتحف الجماهيرى. ويطلق على مبنى القلعة إسم «السراى الحمراء»^(٢)، وذلك لأن جدرانها كانت تطلّى دائماً باللون الأحمر،

(١) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ٤٤.

(٢) كلمة سراى كلمة فارسية إستخدامها الأتراك للدلالة على قصر الحاكم أو الوالى.

ويبدو أن وصفها بالحمراء صفة حديثة حيث لم ترد في كتابات الرحالة والمؤرخين الذين تحدثوا عن القلعة. ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه التسمية أطلقت على بعض المنشآت المدنية والحربية في أماكن مختلفة من العالم الإسلامى، ومن ذلك قصور الحمراء فى غرناطة، التى سميت بذلك نسبة إلى لون التربة فى هذه المنطقة، كما أطلق على مدينة مراكش المغربية عندما أسسها الموحدون «حمراء لمتونة الموحدين» وذلك لإحمرار تربتها وأسوارها، كما كانت تعرف بـ «حمراء الحوز» لوقوعها فى وسط سهل الحوز. كما توجد بمدينة دهلى «نيودلهى» بالهند «قلعة الحمراء» التى شيدها الإمبراطور المغولى الهندى «شاه جيهان» سنة ١٦٣٩م، وذلك لإستخدام الحجر الرملى الأحمر فى بنائها^(١).



(١) انظر : Ebb Koch: Mughal Architecture. An outline of its History and Development.

1526 - 1858. New Delhie. 1991. P. 111.

متاحف طرابلس

متحف الفن الإسلامى

يقع بشارع سيدى خليفة بمدينة طرابلس فى مبنى أثرى شيد أثناء فترة حكم على باشا القرمانى ١٨٣٢ - ١٨٣٥م، على الطراز المعمارى الإسلامى. وأفتتح المتحف فى أول سبتمبر عام ١٩٧٣م فى إطار إهتمام الثورة الليبية بإبراز جوانب التراث الحضارى الليبى.

ينقسم المتحف إلى عدة قاعات تضم الأولى مجموعة من الصور الفوتوغرافية لأهم المعالم الأثرية الإسلامية فى ليبيا، مثل جامع الناقبة بطرابلس، وجامع قزرجى بطرابلس، والجامع العتيق بينغازى، والجامع العتيق بنالوت، وجامع مرزوق وجامع سيدى عبد السلام الأسمر بزيلطن، وغيرها. بالإضافة إلى مجموعة من الصور تمثل طراز بعض العناصر المعمارية مثل المآذن والمحاريب والمنابر والأبواب وقد أعدت هذه الصور للمشاركة فى معرض الفن الإسلامى، الذى أقيم فى لندن سنة ١٩٧٦م.

وتضم القاعة الثانية مجموعة من المسكوكات الإسلامية بداية من العصر الأموى حتى نهاية العصر العثمانى (١٨٣٥ - ١٩١١م) ومنها مجموعة من العملات من عصر الدولة الأغلبية والدولة الموحدية، وكذلك مجموعة من العملات من عصر الدولة الحفصية التى تتميز دراهمها بأنها مربعة الشكل، ومجموعة كبيرة من العملات العثمانية أقدمها يرجع إلى عهد السلطان مراد الرابع (١٠٤١هـ / ١٦٣١م)، ومجموعة من الفلوس من ضرب مدينة طرابلس فى

عصر الأسرة القرمانيّة، وكذلك مجموعة من العملات ترجع إلى العصر العثماني الثاني من ضرب طرابلس وتونس وإستانبول.

ويوجد بنفس القاعة مجموعة من الخزف الإسلامي بعضها يرجع إلى العصر الفاطمي ومنها كسرات من الخزف ذي البريق المعدني، وأخرى من الخزف المرسوم والمحزوز تحت الطلاء. وأغلب مقتنيات هذا القسم من الخزف العثماني خلال الفترات من القرن ١٦م حتى القرن ١٩م، وتشمل مجموعة من المسارج والمصابيح. ومن أهم المقتنيات الخزفية طبق من خزف البورسلين الصيني ترجع إلى عهد يوسف القرماني (١٢ق/هـ - ١٩م) عليه زخارف من عناصر نباتية في قاع الصحن، بينما وزعت الزخارف داخل مناطق على الحافة، وتشمل زخارف نباتية.

وتنقسم القاعة الثالثة إلى قسمين، يضم الأول منها مجموعة من المخطوطات العربية منقولة من دار المحفوظات التاريخية بقلعة طرابلس، بينما يضم القسم الآخر مجموعة من الأعلام الطرابلسية في العصر القرماني، ومنها علم يتكون من تسعة خطوط أفقية متوازية تبدأ وتنتهي بالأسود، وتختصر بينها خطوط بالأصفر والأحمر والأبيض ثم الأسود والأصفر والأحمر (صورة ٣٥) وعلم آخر عبارة عن ثلاثة أهلة بيضاء موزعة على أرضية حمراء كما يضم هذا القسم مجموعة من الأسلحة ترجع إلى بداية القرن ١٩م. كما يضم هذا القسم الكرسي الذي أهدها فرديناند الثاني ملك أسبانيا إلى يوسف باشا القرماني، وهو من الخشب المذهب ومحفور عليه زخارف نباتية على القاعدة والقمة، ويتوجه كرة يقف عليها صقر ناشراً جناحيه (صورة ٣٦).

وقد عرضت بالقاعة الرابعة مجموعة من شواهد القبور الحجرية والرخامية من أهمها شاهد قبر مؤرخ في سنة ٢٤٨هـ ويحمل إسم المتوفى وهو بيان بن الهيثم، وشاهد آخر مؤرخ في شهر ربيع الأول سنة ٣٢٦هـ وعليه إسم أبي عبد الرحمن فلاح ابن حمدون بن الحصابي، وشاهد قبر حلول ابن القائد إلياس ومؤرخ في

شهر رمضان سنة ٩٩٠هـ. ومن الكتابات التسجيلية نص بناء منزل فى عهد عثمان باشا سنة ١٠٦٣هـ ونص بناء مسجد أنشأه يوسف المكنى فى شهر شعبان سنة ١١٢٣هـ، ونص تأسيس مسجد فى عهد يوسف باشا القرمانلى مؤرخ فى سنة ١٢٣٦هـ.

وقد أخرج «إيتورى روسى» سنة ١٩٥٣م ضمن سلسلة منشورات مصلحة الآثار الليبية كتاباً عن هذه الكتابات بعنوان:

Le Iscrizioni Arabe ETurche del Museo di Tripoli (Libia).

ومن أقسام المتحف الإسلامى المنزل الشرقى، وهو بناء يعطى فكرة عن التصميم المعمارى المتبع فى منازل طرابلس، وأهم عناصر الزخرفة المستخدمة فيه. وكذلك قطع الآثار المستخدمة فى كل غرفة من المنزل، وأدوات الطهى وغيرها.

كما يضم المتحف قسمًا خاصًا بالمعروضات التى شاركت بها ليبيا فى مهرجان الفن الإسلامى الذى أقيم فى لندن سنة ١٩٧٦م، وقسمًا خاصًا بصور المجاهدين الليبيين الذين قادوا معركة الجهاد ضد الإحتلال الإيطالى والأوسمة التى حصل عليها بعضهم، وأهمهم رمضان السويحلى وسليمان البارونى وعبد الصمد النعاس وعمر الجنزورى والمبروك المتصر وعمر المختار، كما يوجد نموذج لمصنع الذخيرة الذى صنعه المجاهد عبد العزيز مصطفى رفعت لإمداد المجاهدين بالذخيرة^(١).

المتحف الجماهيرى:

كانت قلعة طرابلس «السراى الحمراء» تشتمل على عدد من المتاحف مثل المتحف اليونانى ومتحف العادات والتقاليد، ومتحف التاريخ الطبيعى. وفى عام ١٩٨٣م بدأ هدم مبنى المتحف اليونانى الرومانى وأقيم مكانه مبنى عملاق، وهو

(١) عن المتحف الإسلامى، أنظر: سعيد على حامد: العالم الإسلامية بالمتحف الإسلامى بمدينة طرابلس. ص ١٠٣ - ١٥٧.

المتحف الجماهيرى، الذى إنتهى من يئائه وعرض مقتنياته حيث تم إفتتاحه فى نطاق الإحتفالات بأعياد الثورة الليبية وذلك فى سنة ١٩٨٨م. ولما كان المتحف الجماهيرى قد بنى بدلاً من عدد من المتاحف فإن معروضاته تعد جولة فى مختلف فترات التاريخ الليبى، إذ يضم المتحف نماذج من آثار عصور ما قبل التاريخ عبارة عن بعض الأدوات الحجرية البسيطة التى تستخدم فى مختلف مظاهر الحياة اليومية فى تلك العصور. ومجموعة من الآثار البونيقية ممثلة فى بعض الآثاات الجنائزى الذى كان يوضع مع المتوفى فى المقبرة. أما آثار العصر اليونانى الرومانى فأنها من أكثر المعروضات ثراءً وتنوعاً وذلك لما كان لليبيا فى ذلك العصر من أهمية تدل عليها المدن الأثرية الباقية مثل لبدة وصبراتة وتوكره وطمليثه وسوسة وقورينا (شحات).

وتشمل الآثار اليونانية الرومانية بعض العناصر المعمارية مثل الأعمدة وتيجانها والأفاريز، ومن المنحوتات مجموعة من التماثيل الرخامية لبعض آلهة اليونان مثل أبوللو وأفروديت (فينوس) وغيرهم، وبعض الحكام. كما يضم المتحف مجموعة من الحشوات الرخامية والحجرية المحفورة حفرًا بارزاً أو غائرًا، وتمثل زخارفها بعض مظاهر الحياة اليومية والألعاب الرياضية ومنظر الطرب من عزف وغناء.

ومن الآثار البيزنطية بالمتحف نماذج من رسوم الفسيفساء التى كانت تغطى الجدران والأرضيات وتشتمل على السمات الزخرفية المميزة للفن البيزنطى من رسوم آدمية وحيوانية وعناصر نباتية.

وقد ألحق بالمتحف نماذج من الآثار الإسلامية التى جلبت من المتحف الإسلامى بطرابلس، وهى عبارة عن نماذج من شواهد القبور واللوحات التأسيسية ونماذج من التحف الخزفية والفخارية والعملات الإسلامية من عصور مختلفة، بداية من العصر الأموى حتى نهاية العصر العثمانى الثانى. ومن أهم المقتنيات الإسلامية الباب الخشبى الخاص بجامعة شائب العين، والمزخرف بزخارف هندسية ونباتية يظهر فيها التأثير بطراز الزخرفة العثمانية، ومن ذلك عنصر شجرة السرو التى شاع تمثيلها فى الفنون الفارسية والعثمانية.

ومن قاعات المتحف الجماهيرى قاعة «النضال من أجل الحرية» التى تضم مجموعة من الأسلحة التى إستخدمها المجاهدين الليبيين فى نضالهم ضد الإحتلال الإيطالى، ومن أهمها الأسلحة الخاصة بشيخ المجاهدين عمر المختار وكذلك سليمان البارونى، كما تضم القاعة مجموعة من الوثائق عبارة عن مراسلات بين المجاهدين وبعضهم أو أصدقائهم وغيرهم. ومن أهم محتويات القاعة المشنقة التى كانت تستخدم فى إعدام المجاهدين الليبيين، والتى جلبت من منزل الملحق الثقافى البريطانى. ومن القاعات قاعة خصصت لعرض وثائق وإنجازات ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة منذ قيامها سنة ١٩٦٩م وحتى الآن.

وخصصت قاعة لعرض مجموعة كبيرة من مقتنيات متحف العادات والتقاليد، ومن أهمها أزياء الرجال والنساء بمختلف فئاتهم، والتقاليد الخاصة بكل مناسبة من المناسبات الإجتماعية مثل مراسم الزواج والولادة فى أماكن مختلفة من الجماهيرية والعادات التى ترتبط بذلك فى كل من المناطق الساحلية أو الصحراوية أو الجبلية. وكذلك عرض لمختلف أدوات الحياة اليومية مثل أواني الطهى والحلى ومواد التجميل وأدوات الطرب المستخدمة فى مختلف المناطق الليبية.

وتضم قاعة التاريخ الطبيعى عرضاً نماذج من الحيوانات والطيور والزواحف والقوارص والحشرات التى توجد فى المناطق المختلفة بليبيا. ولأن الظروف البيئية من حيث التضاريس والمناخ تختلف من مكان إلى آخر تبعاً للإمتداد الكبير الذى تتميز به الجماهيرية الليبية، فإنه تبع ذلك تنوع فى النباتات التى تنمو فى كل منطقة.

وبذلك فإن المتحف الجماهيرى بعد جولة فى تاريخ ليبيا وعادات وتقاليد شعبها والتاريخ الطبيعى لها.

المصادر

- البكرى (أبو عبيد الله)؛ المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب (المسالك والممالك)، الجزائر - ١٨٥٧.
- التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد)؛ رحلة التجانى فى البلاد التونسية والقطر الطرابلسى (٧٠٦ - ٧٠٨هـ) تقديم حسن حنى عبد الوهاب - تونس ١٩٥٨.
- توللى (أ)؛ عشرة أعوام فى طرابلس (١٧٨٣ - ١٧٩٣م) ترجمة د. عبد الجليل الطاهر - منشورات الجامعة الليبية - بنغازى - ١٩٦٧.
- الحشائشى (محمد بن عثمان)؛ جلاء الكرب عن طرابلس الغرب. تقديم وتحقيق على مصطفى المصرانى - بيروت - ١٩٦٥.
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد)؛ المسالك والممالك - صورة الأرض - ليدن ١٩٣٨.
- ابن خلدون (عبد الرحمن)؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر. الجزء الرابع - بيروت - ١٩٨٣.
- العبدرى (أبو عبد الله محمد)؛ الرحلة المغربية - تحقيق وتقديم وتعليق محمد الفاسى. الرباط - ١٩٦٨م.
- على بك العباسى: رحلات فى أفريقيا وآسيا من ١٨٠٣ حتى نهاية ١٨٠٧م. الجزء الثانى - ترجمة ستيفانو نيكوزى - ميلانو ١٨١٦.
- العياشى (عبد الله بن محمد بن أبى بكر)؛ الرحلة. فاس ١٣١٦هـ.

-
- ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل)؛ التذكار فى من ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار. الطبعة الثانية - طرابلس - ١٩٦٠.
- الفيتورى (عبد السلام بن عثمان)؛ كتاب الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات. طرابلس - بدون تاريخ.
- القزوينى (أبو عبد الله زكريا)؛ آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت - ١٩٦٠.
- القلصادى (أبو الحسن على)؛ رحلة القلصادى. دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان - تونس - ١٩٧٨.
- مارمول (كرنيجال)؛ أفريقيا. الجزء الثالث - ترجمة محمد حجي، محمد زنيير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق. الرباط - ١٩٨٨ - ١٩٨٩.
- المراكشى (عبد الواحد)؛ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الاندلس إلى آخر عصر الموحدين. تحقيق محمد سعيد العريان، محمد العربى العلى. القاهرة - ١٩٤٩.
- المقدسى (أبو عبيد الله محمد البشارى)؛ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. الطبعة الثانية - لندن ١٩٠٩.



المراجع العربية

- إبراهيم شحاته حسن (د)؛ أطوار العلاقات المغربية العثمانية (قراءة فى تاريخ المغرب عبر خمسة قرون). الإسكندرية - ١٩٨١.
- إحسان عباس (د)؛ تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى مطلع القرن التاسع الهجرى. الطبعة الأولى. ليبيا - ١٩٦٧.
- أحسان عباس (د)؛ محمد نجم: ليبيا فى كتب الجغرافية والرحلات. بنغازى - ١٩٦٨.
- أحمد الأنصارى النائب: المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب. طرابلس - ١٩٦١.
- أحمد الأنصارى النائب: نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان. الطبعة الأولى - بيروت - ١٩٦٣.
- أحمد فكرى (د)؛ المسجد الجامع بالقيروان - القاهرة - ١٩٣٦.
- أحمد فكرى (د)؛ عوامل الوحدة فى الآثار الإسلامية فى البلاد العربية (المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية - القاهرة نوفمبر ١٩٥٩) القاهرة ١٩٦١.
- أحمد مدروح حمدى: معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامى مجموعات متحف الفن الإسلامى - العدد الثالث - القاهرة - ١٩٥٩.
- آدم ميتز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى. ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة. الطبعة الثانية. الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٥.
- آصلان آبا (أوقطاي)؛ فنون الترك وعمائرهم. ترجمة أحمد عيسى. إستانبول - ١٩٨٧.

-
- برينا (ك)؛ طرابلس من ١٥١٠ إلى ١٨٥٠. تعريب خليفة محمد التليسى. الطبعة الأولى. مصراته - ١٩٨٥.
- بل (الفرد)؛ الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى من الفتح العربى حتى اليوم. ترجمة د. عبد الرحمن بدوى - دار ليبيا - ١٩٦٩.
- توفيق أحمد عبد الجواد (د)؛ تاريخ العمارة - الجزء الثالث - القاهرة - ١٩٧٠.
- تيسير موسى: المجتمع العربى الليبى فى العهد العثمانى - طرابلس - ١٩٨٨.
- جمال حمدان (د)؛ الإستعمار والتحرر فى العالم العربى (المكتبة الثقافية - العدد ١٢٣) القاهرة - ديسمبر ١٩٦٤.
- حسن سليمان محمود (د)؛ ليبيا بين الماضى والحاضر (الألف كتاب - العدد ٤٢٦) القاهرة ١٩٦٢.
- حسين ليب: تاريخ الأتراك العثمانيين. الجزء الثانى - القاهرة - ١٩١٧.
- حسين مؤنس (د)؛ أطلس تاريخ الإسلام. القاهرة - ١٩٨٦.
- خليفة محمد التليسى (د)؛ حكاية مدينة. طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب. الطبعة الثانية - ليبيا - تونس - ١٩٨٥.
- رأفت غنيمى الشيخ (د)؛ فى تاريخ العرب الحديث. الطبعة الثالثة - القاهرة - ١٩٨٠.
- روسى (إيتورى)؛ طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا. ترجمة وتقديم د. خليفة محمد التليسى. الطبعة الثانية. طرابلس - ١٩٨٥.
- روسى (إيتورى)؛ ليبيا منذ الفتح العربى حتى ١٩١١. تحقيق خليفة محمد التليسى. الطبعة الثانية - طرابلس - ١٩٩١.
- زاهر رياض (د)؛ شمال أفريقيا فى العصر الحديث. القاهرة - ١٩٦٧.
- سعيد على حامد: المعالم الإسلامية بمتحف طرابلس. مصلحة الآثار الليبية. طرابلس ١٩٧٨.
-

- سعيد على حامد: التجارة والأسواق فى طرابلس عبر التاريخ . مجلة تراث الشعب . السنة الحادية عشرة - العدد الرابع - طرابلس - ١٩٩١ .
- سليمان مصطفى زبيس: آثار المغرب العربى - (كتاب البعث - العدد ٢٨) تونس . ١٩٥٨ .
- سليمان مصطفى زبيس: القبة التونسية (دراسات فى الآثار الإسلامية) القاهرة - ١٩٧٩ .
- سنوسى يوسف إبراهيم: دور زناتة فى المغرب الإسلامى من خروج الفاطميين حتى قيام المرابطين (٣٦٢ - ٤٦٢هـ) رسالة دكتوراة - كلية الآداب جامعة عين شمس - ١٩٨٥ .
- صلاح أحمد البهنسى (د)؛ العمارة الدينية فى طرابلس فى العصر العثمانى الأول . رسالة دكتوراة - كلية الآثار جامعة القاهرة - ١٩٩٤ .
- الطاهر أحمد الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا - القاهرة - ١٩٥٤ .
- الطاهر أحمد الزاوى: معجم البلدان الليبية . طرابلس - ١٩٦٨ .
- الطاهر أحمد الزاوى: ولاية طرابلس الغرب من بداية الفتح العربى إلى نهاية العهد التركى . الطبعة الأولى - بيروت - ١٩٧٠ .
- طويبا العيسى: تفسير الألفاظ .
- عبد السلام أدهم: وثائق تاريخ ليبيا الحديث . بنغازى - ١٩٨٣ .
- عبد العزيز الدولاتلى: تونس فى العهد الحفصى . تعريب محمد الشابى ، عبد العزيز الدولاتلى . تونس - ١٩٨١ .
- عبد العزيز بن عبد الله: الآثار الإسلامية بالمغرب (المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية - القاهرة - نوفمبر ١٩٥٩) القاهرة - ١٩٦١ .
- عثمان الكعاك: محاضرات فى مراكز الثقافة فى المغرب من القرن ١٦ - ١٩م . القاهرة - ١٩٥٨ .

- عز الدين عمر أحمد موسى: دراسات فى تاريخ المغرب الإسلامى. الطبعة الأولى. القاهرة - ١٩٨٣.
- على مصطفى المصراتى: أعلام من طرابلس. الطبعة الثانية. طرابلس - ١٩٧٢.
- على فهمى خشيم (د)؛ الحاجة من ثلاث رحلات فى البلاد الليبية. الطبعة الأولى. طرابلس ١٩٧٤.
- عمر البارونى: الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى طرابلس - طرابلس - ١٩٥٢.
- عمر على بن إسماعيل: إنهاء حكم الأسرة القرمانلية فى ليبيا - ١٧٩٥ - ١٨٣٥. طرابلس بدون تاريخ.
- عيسى سلمان، وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق. الجزء الاول - السلسلة الفنية - العدد ٥١ - بغداد - ١٩٨٢.
- عيسى محمد صالحية (د)؛ صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا (وثائق من وثائق السيد أحمد الشريف السنوسى). كلية الآداب جامعة الكويت - الحولية الأولى - ١٩٨٠.
- فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة ٢١ - ٣٥٨هـ/ ٦٣٩ - ٩٦٩م) المجلد الأول - القاهرة - ١٩٧٠.
- فيرو (شارل)؛ الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى - الكتاب الثانى - تعريب محمد عبد الكريم الوافى - طرابلس - ١٩٧٣.
- كاكيا (أ.ج)؛ ليبيا فى العهد العثمانى الثانى (١٨٣٥ - ١٩١١) ترجمة يوسف حسن العسلى. مصر ١٩٤٦.
- كاوير (هـ.و)؛ مرتفع الآهات الجمال. ترجمة أنيس زكى حسن. طرابلس - بدون تاريخ.

- كسلر (كريستل)؛ زخارف قباب القاهرة - ترجمة شهيرة محرر - مجلة فكر وفن
١٩٦٩.

- كمال الدين سامح (د)؛ العمارة الإسلامية في مصر. الطبعة الرابعة - القاهرة -
١٩٩١.

- كورو (فرانشيسكو)؛ ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني. تعريب وتقديم خليفة
محمد التليسى. الطبعة الثانية - طرابلس ١٩٨٤.

- لا يون (ع.ف)؛ مدخل إلى الصحراء. ترجمة الهادى أبو لقمة. الطبعة
الأولى. منشورات جامعة قاريونس - بنغازى - ١٩٩٣.

- لوبون (جوستاف)؛ حضارة العرب. الطبعة الثالثة.

- مجموعة: تاريخنا. ليبيا - الكتاب الرابع والخامس - جنيف - بدون تاريخ.

- محمد رفعت: تاريخ حوض البحر المتوسط.

- محمد على عيسى (د)؛ هل تحول قوس ماركوس أوريليوس إلى مسجد فى
العصور الوسطى. (مجلة آثار العرب - العدد الثانى - منشورات مصلحة
الآثار - طرابلس - مارس ١٩٩١).

- محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية - بيروت - ١٩٧٧.

- محمد محمد الكحلاوى: العمارة الإسلامية فى المغرب الإسلامى. عمائر
الموحدين الدينية فى المغرب. رسالة دكتوراة - كلية الآثار جامعة القاهرة -
١٩٨٦.

- محمود النمسي (د)؛ دليل منطقة حفائر جنزور الأثرية. منشورات مصلحة
الآثار. طرابلس. بدون تاريخ.

- مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية: أسس التصميم المعماري والتخطيط
الحضرى فى العصور المختلفة بالعاصمة القاهرة. منظمة المدن والعواصم
الإسلامية. القاهرة - ١٩٩٠.

- مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي: يوميات الطبيب جوناثان كودرى
فى قلعة طرابلس الغرب ١٨٠٣ - ١٨٠٥ م. ترجمة وتعليق د. عبد الكريم
أبو شويرب - طرابلس ١٩٨٢.

- مسعود رمضان شقلوف، وآخرون. موسوعة الآثار الإسلامية لليبيا. الجزء
الأول - منشورات مصلحة الآثار الليبية - طرابلس.

- ميسانا (غاسبرى)؛ المعمار الإسلامى فى ليبيا. ترجمة على الصادق حسنين.
طرابلس - ١٩٧٣.

- ميكاكى (رودلفو)؛ طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانيلى - تحقيق كمال
الخربوطلى. مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخربوطلى.
القاهرة - ١٩٦١.

- محمد ناجى، محمد نورى: طرابلس غرب. ترجمة أكمل الدين محمد
إحسان. طرابلس ١٩٧٣.

- نجم الدين غالب الكيب: مدينة لبد. الاسم والنشأة والتاريخ - طرابلس -
١٩٨١.

- نقولا زيادة (د)؛ ليبيا فى العصور الحديثة. القاهرة - ١٩٦٦.

- نقولا زيادة (د)؛ ليبيا من الإحتلال الإيطالى إلى الإستقلال. منشورات جامعة
الدول العربية. مصر - ١٩٥٨.

- هوج (بليك) وآخرون: إحدابيا وأول فن المعمار للفاطمين - ترجمة أنطوان
جيقة - (مجلة ليبيا القديمة) المجلد الثامن - ١٩٧١.



المراجع الأجنبية

- Aurigemma (S); La Moschea di Curgidi Tripoli (Africa Italiana. Bergama. 1928).
- Creswell (K.A.C); The evolution of the minaret (Burlinton Magazine- Mars - June. 1926).
- Ebbakoch; Mughal architecture: An outline of its History and Development. 1526-1858. New Delhie. 1991.
- Godfrey (F); Barbary legaed war. Trade and piracy in north Africa. 1415-1830. Oxford. 1927.
- Goodwin (G); Ahistory of Ottoman Architecture. New York. 1987.
- Haynes (D.E.L); An archaeoloical and historical guide to pre- Islamic Antiquities of Tripolitania. 4th edition. Tripo. 1981.
- El-Mahmoudy (A); Post fifteenth century A.D Architecture in Libya. M.A. Thesies. Victoria univ. Canada- 1985.
- Mantran (R); North Africa in the sixteenth and seventeenth centuries (The cambridge history of Islam) Vol.2. Cambridge Univ. press. 1970.
- Marcais (G); Manual d: art Musulman Tom.1. Paris -1926.
- Marcais (G); L'Architecture Musulmane d'occident (Tunisie- Algerie- Maroc. Espagne et Sicile) Paris. 1954.

-
- Murabet (M); Some facts about Libya. Malta. 1961.
 - Revoira (G.T); Muslim Architecture. Its Origins and Development. Oxford. 1981.
 - Thiersh (H); Pharos in Antike. Islam und Occident. Leipzig - Berlin- 1909.
 - Warfilli (M.S); The old city of Tripoli (AARP) Tripoli. 1976.
 - Wright (J); Libya. London. 1969.

* * *

فهرس الأشكال

- شكل ١ : مسقط أفقى لجامع وحمام درغوت باشا بطرابلس .
شكل ٢ : لوحة تجديد جامع الناقة فى عهد صفرى .
شكل ٣ : مسقط أفقى لجامع الناقة .
شكل ٤ : مسقط أفقى لجامع سيدى سالم المشاط .
شكل ٥ : مسقط أفقى لجامع محمد باشا شائب العين .
شكل ٦ : مسقط أفقى لجامع خليل باشا .
شكل ٧ : مسقط أفقى لجامع أحمد باشا القرمانيلى .
شكل ٨ : مسقط أفقى لجامع قورجى .
شكل ٩ : مسقط أفقى لمسجد قره بغلى .
شكل ١٠ : مسقط أفقى لمسجد محمود خازندار .
شكل ١١ : مسقط أفقى لمسجد بن مقبل .
شكل ١٢ : مسقط أفقى لمدرسة عثمان باشا الساقرلى .
شكل ١٣ : مسقط أفقى لمنزل فى طرابلس .
شكل ١٤ : مسقط أفقى لفندق الزهر .
شكل ١٥ : رسم قديم لمدينة طرابلس .
شكل ١٦ : رسم يبين أسوار وحصون وأبواب طرابلس سنة ١٩١١ .

فهرس الصور

- صورة ١: قوس النصر الذى شيد فى عصر الإمبراطور الرومانى ماركوس أوريليوس .
- صورة ٢: البلاطات الخزفية التى تكسو حنية المحراب القديم بجامع درغوت .
- صورة ٣: جانب من جامع درغوت تظهر به المئذنة الإسطوانية للجامع .
- صورة ٤: جانب من جامع الناقه وتظهر به المئذنة المربعة الخاصة بالجامع ، وفى الوسط مئذنة جامع أحمد باشا القرمائلى وإلى اليسار مئذنة زاوية القادرية .
- صورة ٥: منظر عام لجامع سيدى سالم المشاط تظهر به المئذنة وقبة الضريح .
- صورة ٦: مئذنة جامع سيدى سالم المشاط .
- صورة ٧: المدخل الرئيسى لجامع محمد باشا شائب العين تعلوه اللوحة التأسيسية للجامع والبلاطات الخزفية على جانبيها .
- صورة ٨: البلاطات الخزفية على الجدار الشمالى الغربى لبيت الصلاة فى جامع محمد باشا .
- صورة ٩: مئذنة جامع محمد باشا شائب العين .
- صورة ١٠: منظر عام لجامع خليل باشا وتظهر به الدعامات المائلة الساندة للجدران .
- صورة ١١: مئذنة جامع خليل باشا .

- صورة ١٢ : صورة جوية لجامع أحمد باشا القرماني ومئذنة الجامع .
- صورة ١٣ : نموذج للتكسية بالبلاطات الخزفية فى جامع أحمد باشا القرماني .
- صورة ١٤ : محراب جامع أحمد باشا القرماني تظهر به البلاطات الخزفية فى الجزء الأسفل والزخارف الجصية فى طاقة المحراب .
- صورة ١٥ : الشرفة الداخلية على جوانب بيت الصلاة بجامع أحمد باشا القرماني .
- صورة ١٦ : الأضرحة بجامع أحمد باشا القرماني .
- صورة ١٧ : الزخارف الجصية بطاقيّة محراب جامع قورجى .
- صورة ١٨ : المئذنة المشتملة بجامع قورجى .
- صورة ١٩ : نموذج للتصميمات الزخرفية بالبلاطات الخزفية بجامع قورجى .
- صورة ٢٠ : نموذج للتشكيلات الزخرفية الجصية بجامع قورجى .
- صورة ٢١ : أحد مداخل بيت الصلاة بجامع قورجى تظهر بها الزخارف المحفورة على الرخام .
- صورة ٢٢ : الزخارف المنفذة بالطلاء على سقف السدة الخشبية بجامع قورجى .
- صورة ٢٣ : منظر عام لمسجد بن سليمان تظهر به المئذنة .
- صورة ٢٤ : مدخل مدرسة عثمان باشا واللوحه التأسيسية التى تعلوه .
- صورة ٢٥ : الرواق المحيط بالفناء وخلوى الطلبة فى مدرسة عثمان باشا .
- صورة ٢٦ : قبة الدركاة وقبة المسجد بمدرسة عثمان باشا .
- صورة ٢٧ : قبة المسجد وقبة الضريح بمدرسة عثمان باشا .
- صورة ٢٨ : الفناء والرواق الذى يتقدم الحجرات فى فيلا «فولبى» .
- صورة ٢٩ : مدخل أحد المنازل القديمة بطرابلس تظهر عليه الزخارف المنفذة على الرخام .

صورة ٣٠: البلاطات الخزفية فى تشكيل زخرفى شائع فى زخرفة جدران
العمائر الدينية والمدنية بطرابلس.

صورة ٣١: الزخارف والكتابات على بلاطات القاشانى فى واجهات المنازل
القديمة بطرابلس.

صورة ٣٢: الفناء والرواق المطل عليه فى فندق زميت بطرابلس.

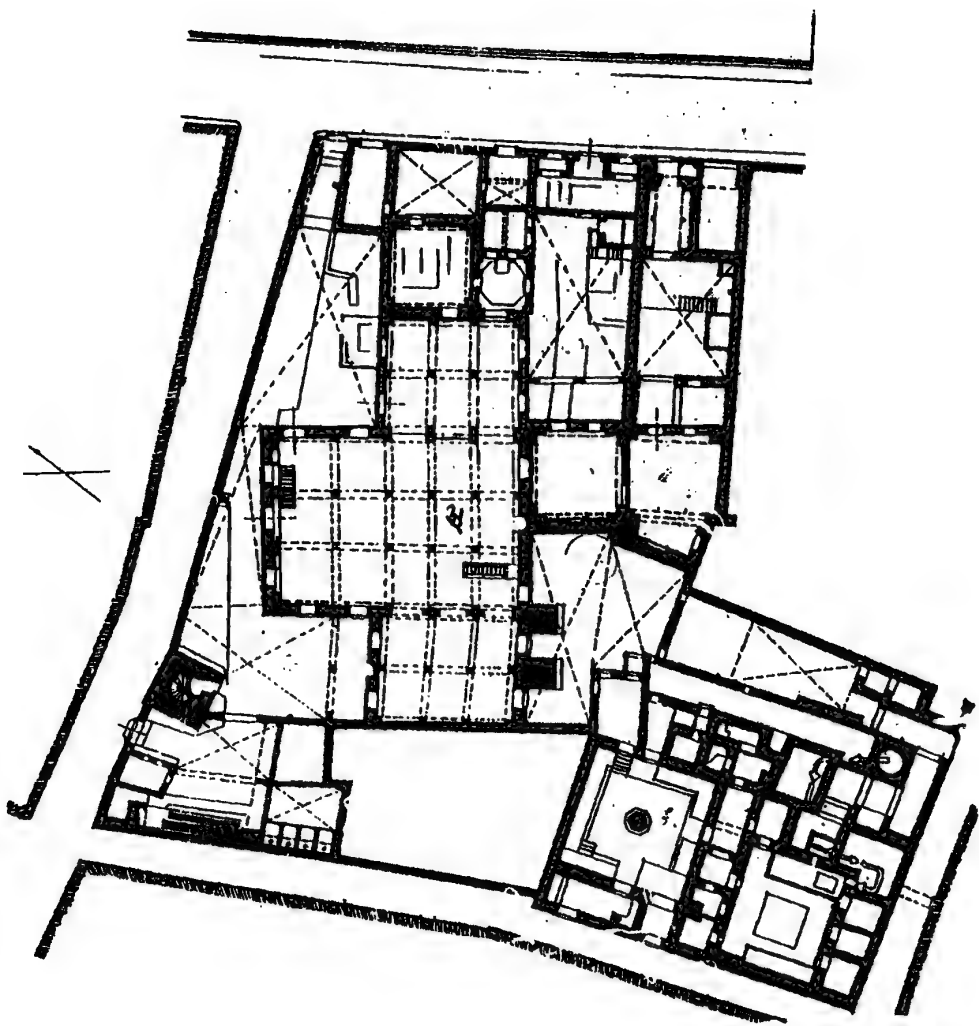
صورة ٣٣: الجزء القرمانيلى من قلعة طرابلس.

صورة ٣٤: صورة قديمة لمبنى قلعة طرابلس ويظهر إلى اليسار تمثال الإمبراطور
الرومانى سبتيموس سيفيروس.

صورة ٣٥: أحد أعلام طرابلس فى العصر القرمانيلى.

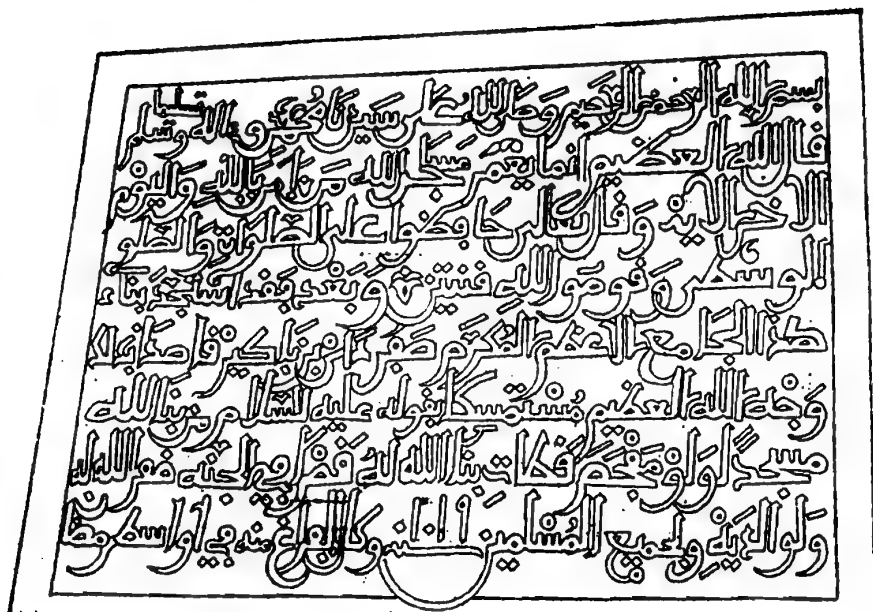
صورة ٣٦: كرسى العرش الخاص بيوسف باشا القرمانيلى.

* * *

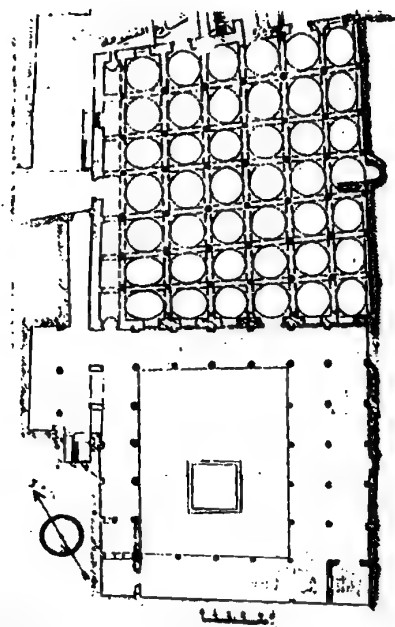


شكل (١): مسقط أفقي لمجمع درغوت بطرابلس يظهر فيه مجموعة الاضرحة والمدافن وحجرة الشعرة الشريفة والحمام الملحق بالمجمع .

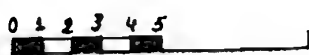
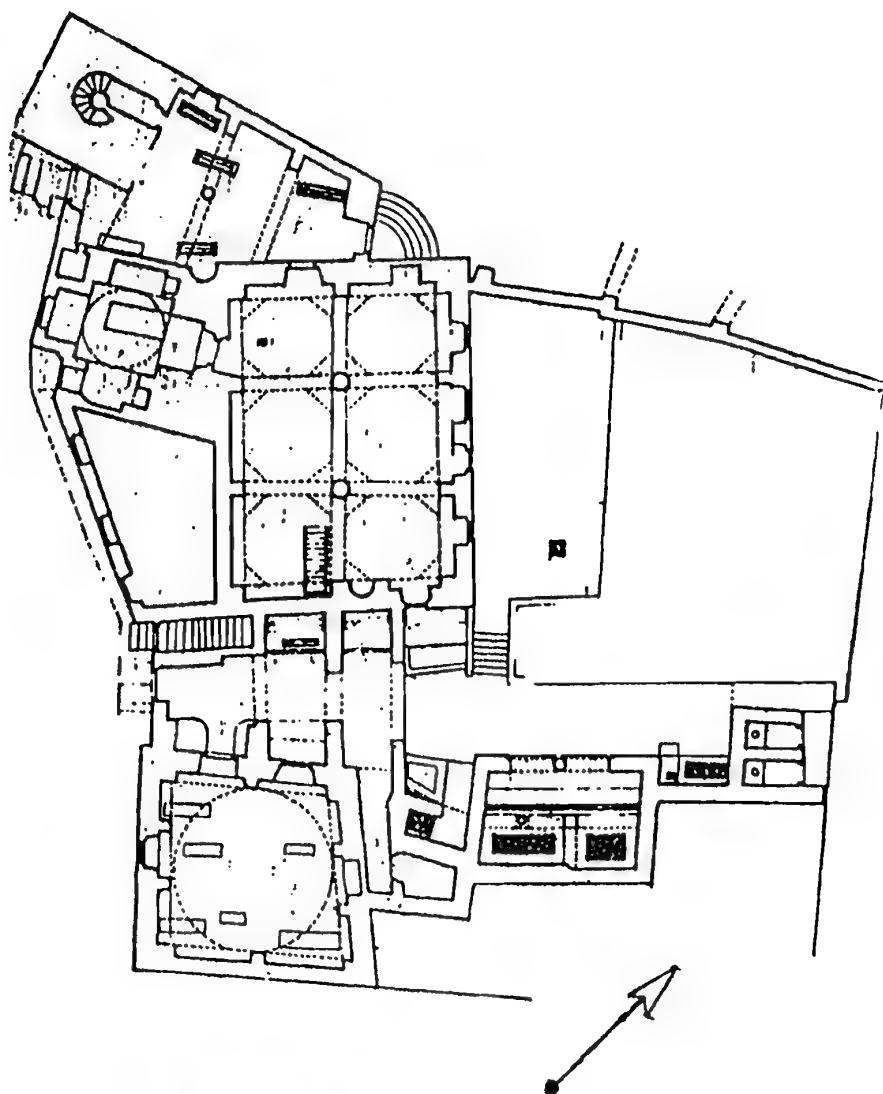
عن: علي صائغ أو لجان: مجمع الرئيس درغوت المعماري بطرابلس الغرب: ترجمة د: عبد الكريم أبو شويرب • مجلة آثار العرب • العدد 3 طرابلس سبتمبر 1991 - ص 77 •



شكل (٢) نص تأسيس جامع الناقة في عهد صفر داي سنة ١٠١٩هـ - (١٦١٠م)
والكتابات عليها بالخط المغربي ومحفورة حفرا بارزا . (عمل الباحث)



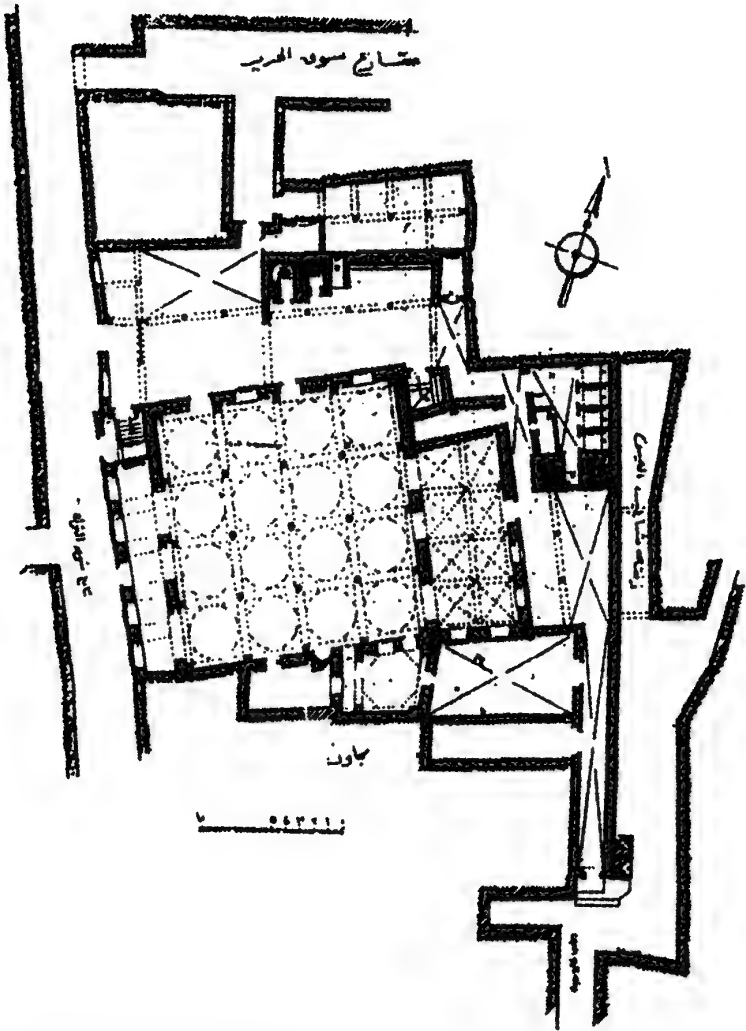
شكل (٣) مسقط أفقي لجامع الناقة . (عمل الباحث)



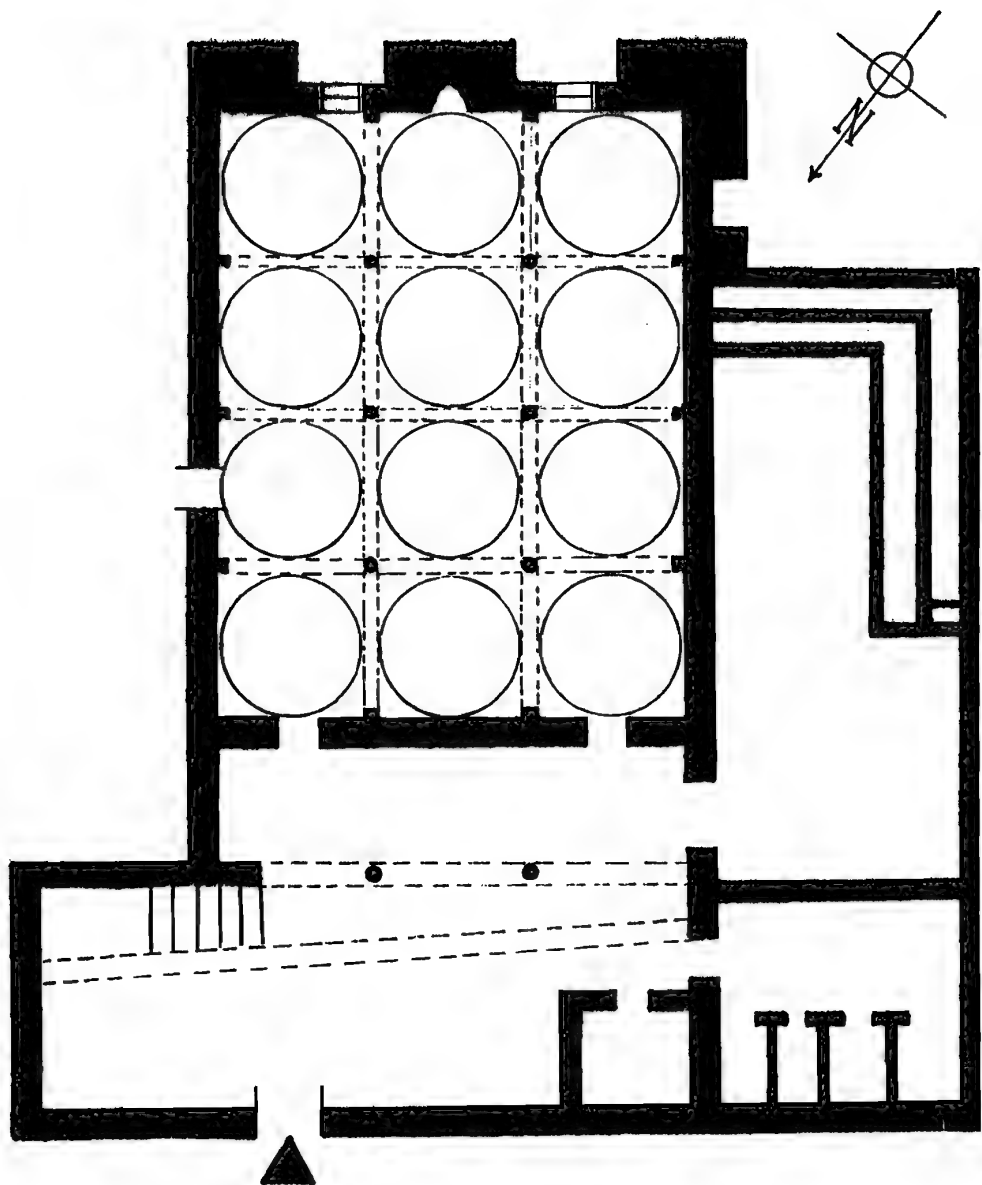
شكل (٤) مسقط أفقي لجامع سيدي سالم المشاط

Warfilli, (M. S.), Tripoli. p.g

عن:

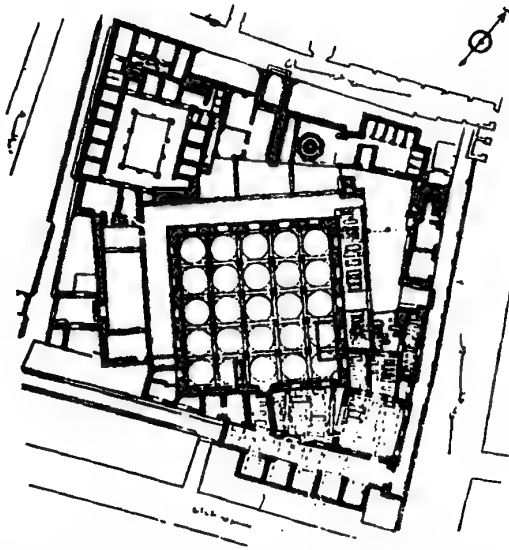


شكل (٥) مخطط أفقي لجامع شاطئ العين (١١١٠هـ/١٦٩٩/٩٨)
(عن القسم الهندسي بمصلحة الآثار / طرابلس)

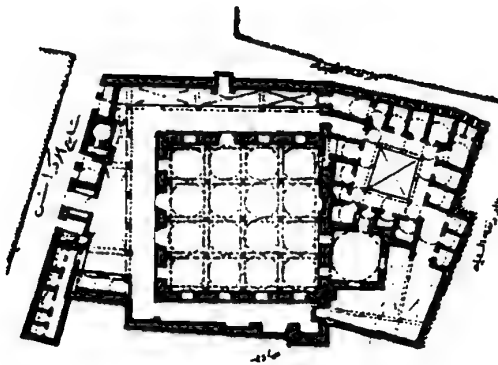


شكل (٦) مسقط أفقي لجامع خليل باشا (١١٢٠هـ/١٧٠٨م)

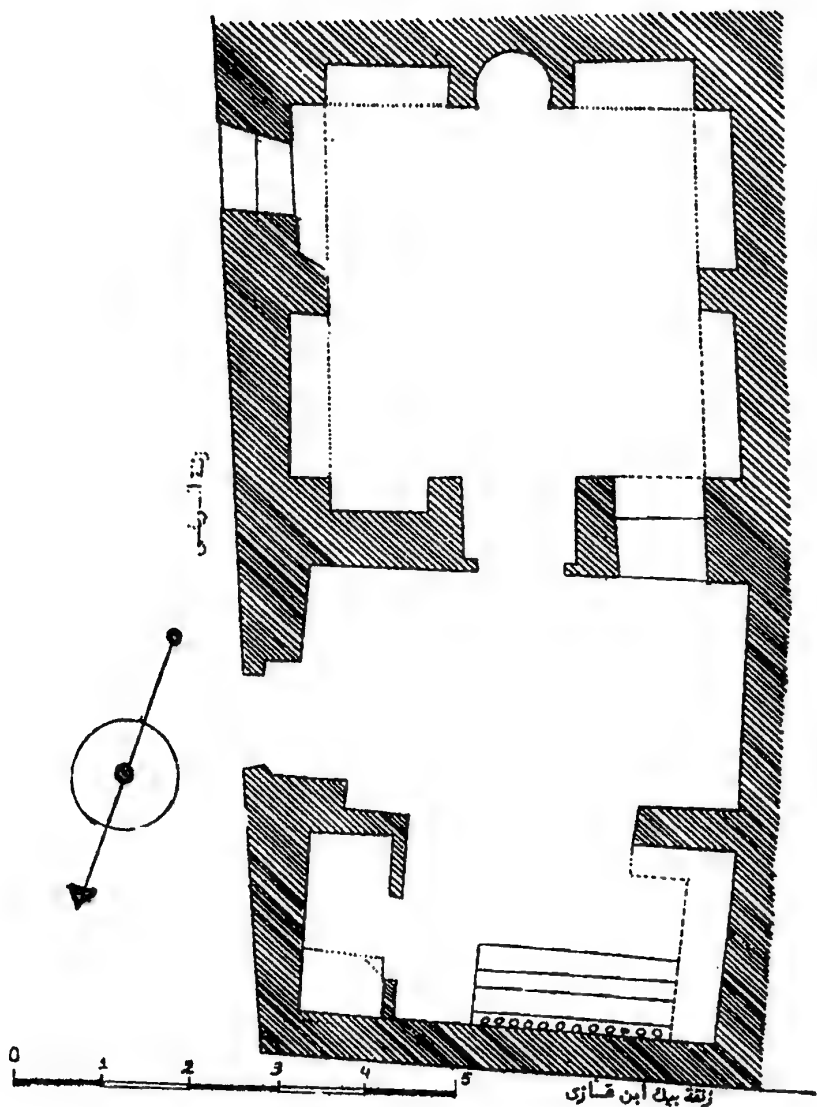
(عمل الباحث)



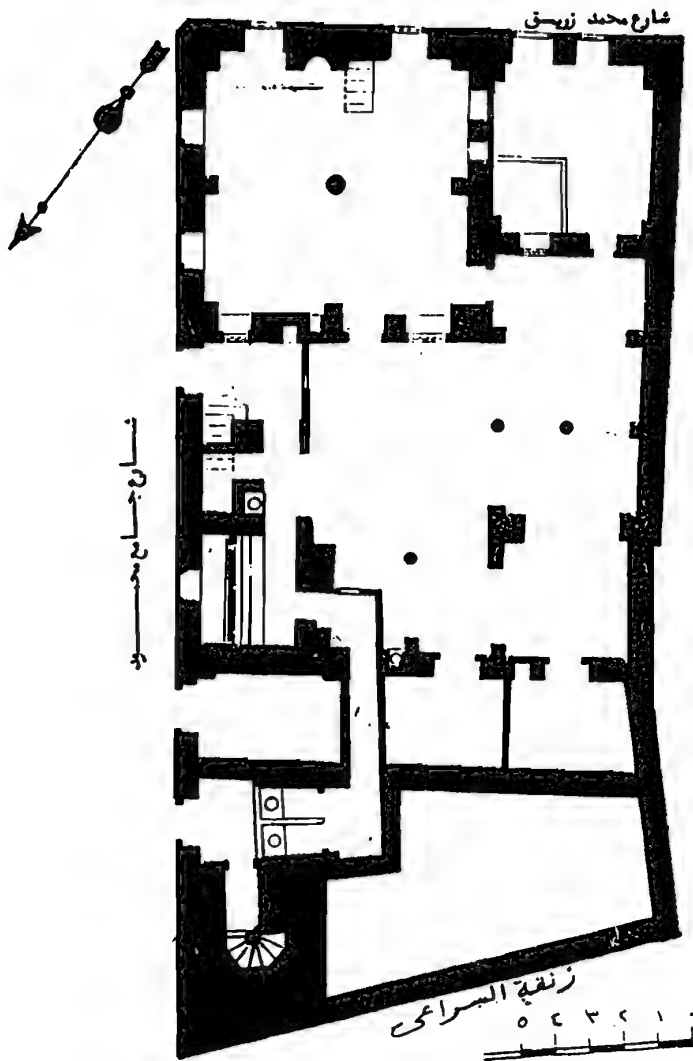
شكل (٧) مسقط أفقي لمجمع أحمد باشا القرماني بطرابلس يضم بيت الصلاة والضريح والمدافن والمدرسة ومجموعة الحوانيت في الجدران الخارجية .
عن: موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا . الجزء الأول . ص 98



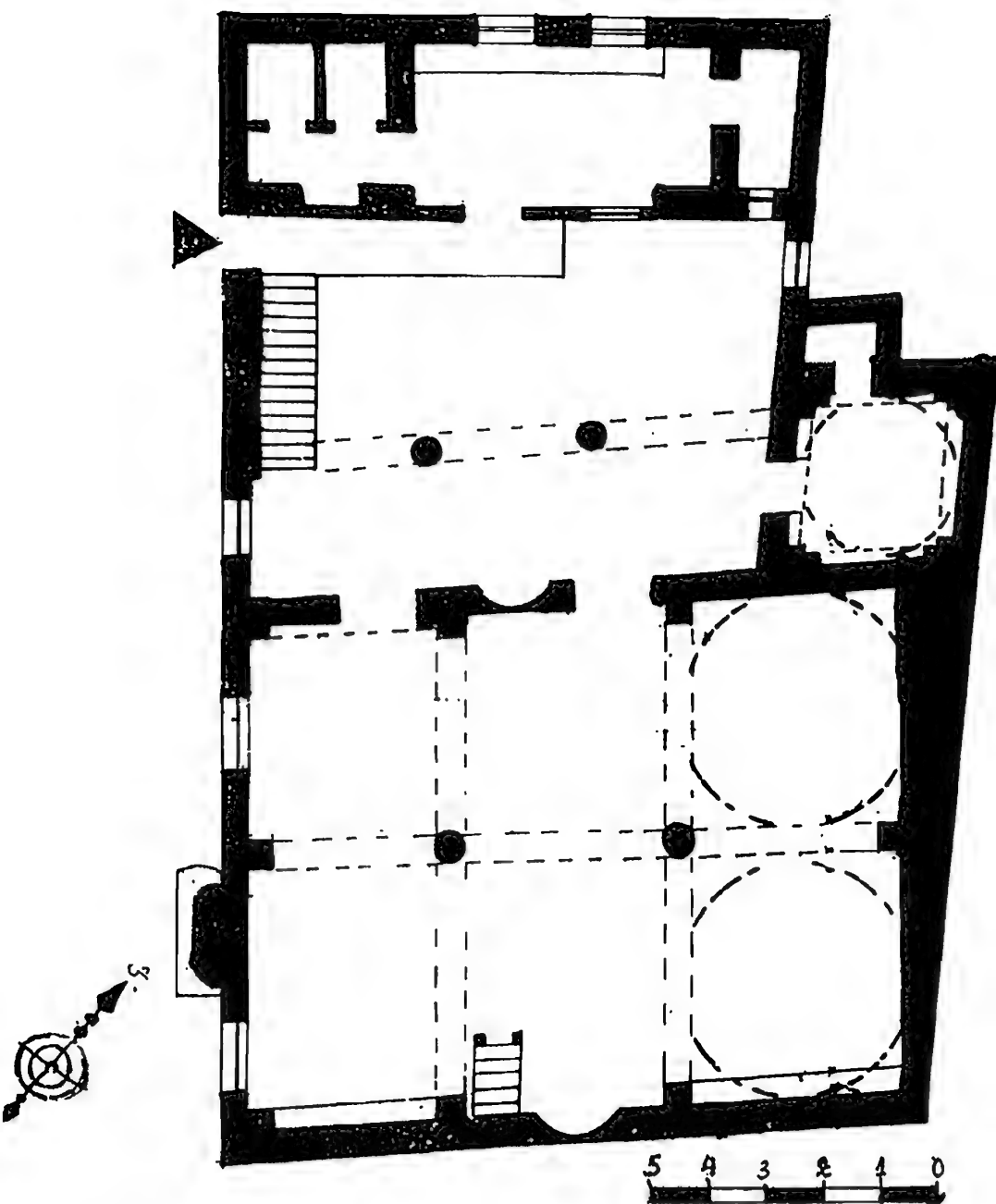
شكل (٨) مسقط أفقي لمجمع قورجي يظهر به بيت الصلاة للمغطي بالقباب المتعددة المتساوية وللضريح والمدرسة .
عن: المرجع نفسه ص 108 .



شكل (٩) مسقط أفقي لمسجد قرة بغلي (الصف الثاني من القرن ١١هـ/١٧م)
(عن القسم الهندسي بمصلحة الآثار بطرابلس).

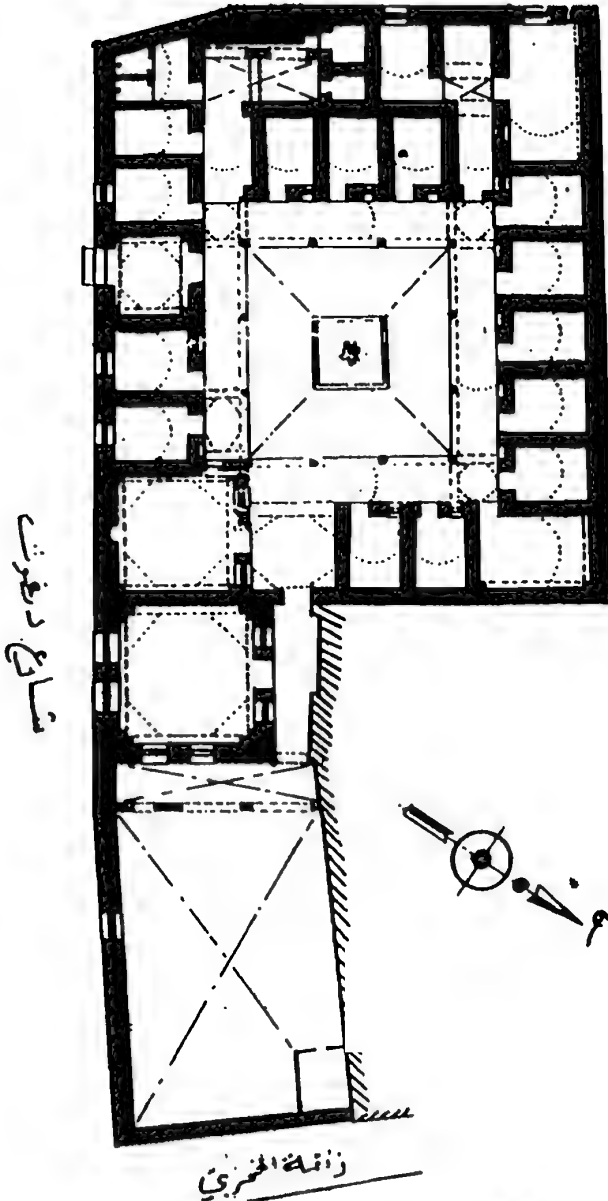


شكل (١٠) مسقط أفقي لمسجد محمود (١٠٩١هـ/١٦٨٠م)
 (عن القسم الهندسي بمصلحة الآثار بطرابلس)



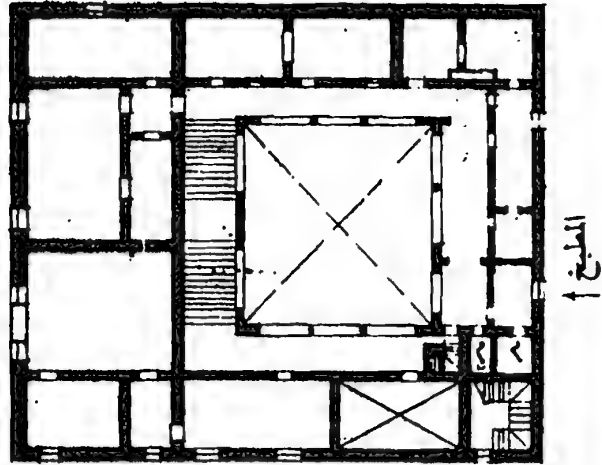
شكل (١١) مسقط أفقي لمسجد بني مقبل (النصف الثاني من القرن ١٠هـ / ١٦م)
(عمل الباحثة)

ميدان السيدة مريم

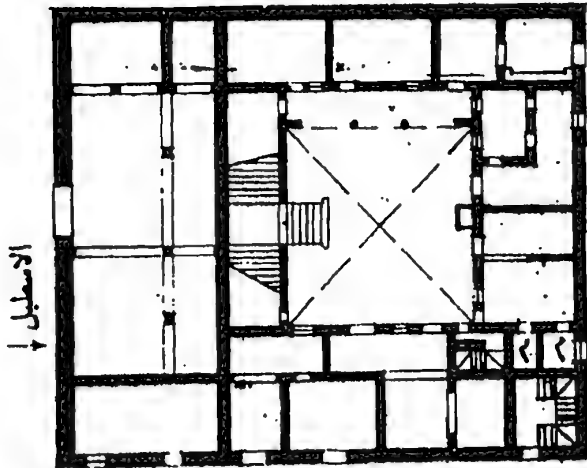


شكل (١٢) مقطع أفقي لمدرسة عثمان باشا الساقلي بطرابلس
عن القسم الهندسي بمصلحة الآثار بطرابلس .

الطابق الاول

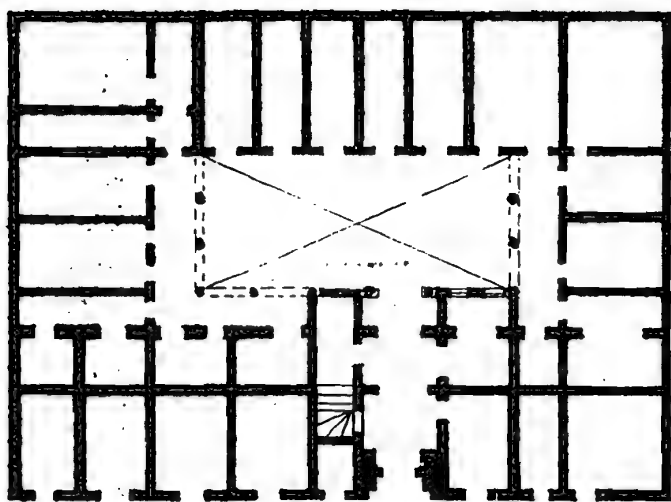


الطابق الارضي



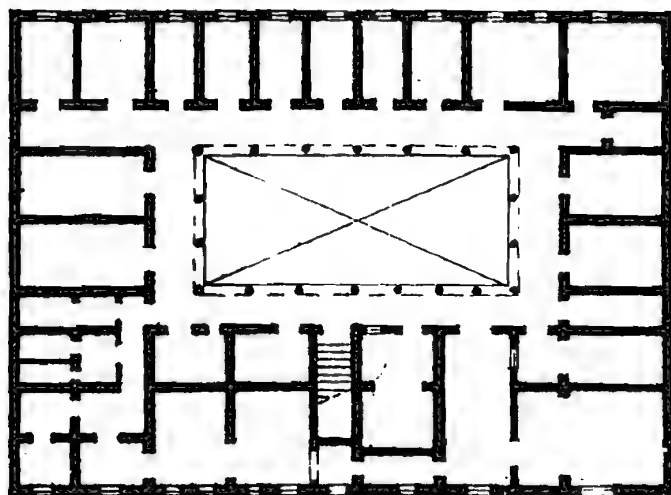
م = مرحاض

شكل (١٣) مسقط أفقي للطابق الأرضي والأول بمنزل طرابلس

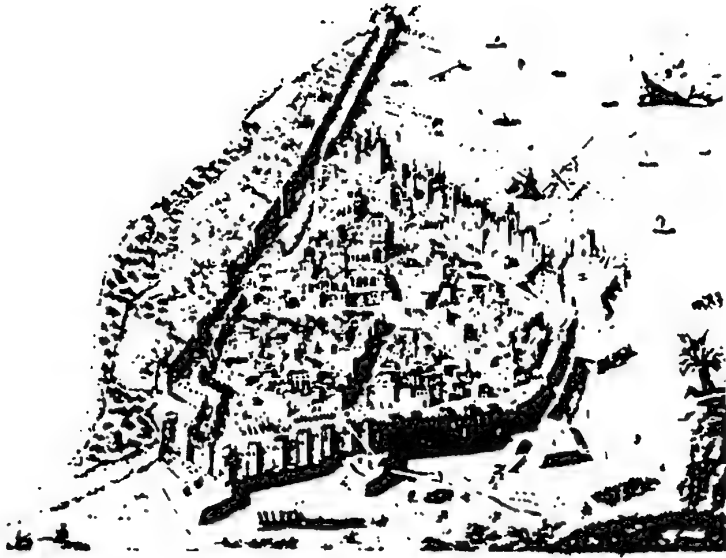


الطابق الأرضي

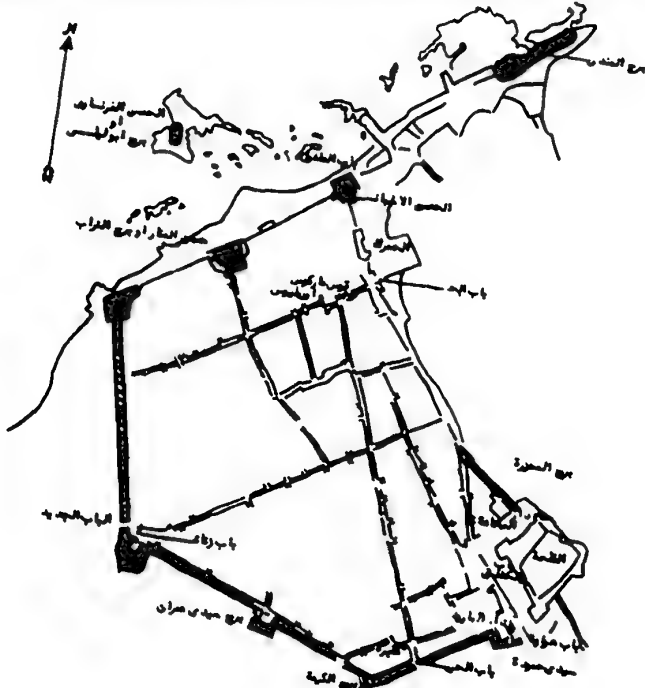
الطابق الأول



شكل (١٤) مسقط أفقي للطابق الأرضي والاول لفندق الزهر بطرابلس



شكل (١٥) مدينة طرابلس القديمة في أواخر القرن السابع عشر الميلادي



شكل (١٦) أسوار وحصون وأبواب طرابلس سنة ٩١١



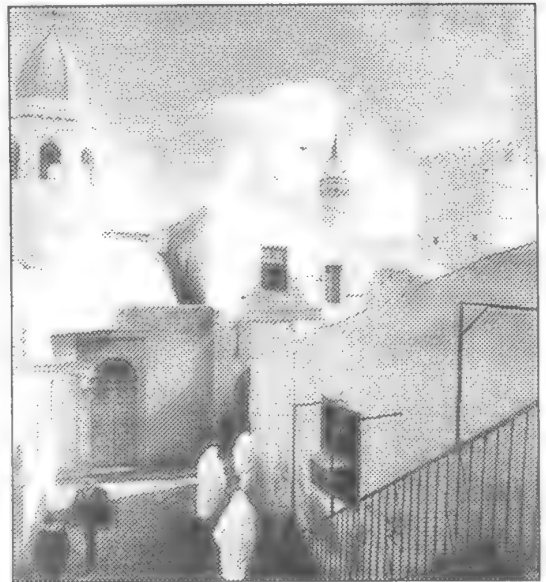
صورة ١ : قوسي النصر الخاص بالإمبراطور ماركوس أوريليوس



صورة ٢ : البلاطات الخزفية
في المحراب القديم بجامع درغوت



صورة ٣ : جانب من جامع درغوت
تظهر به المنذنة



صورة ٤ : جانب من جامع الناقة
والمنذنة إلى يمين الصورة



صورة ٥ : منظر عام لجامع سيدي سالم
المشاط تظهر به المئذنة وقبة الضريح



صورة ٦ : مئذنة جامع سيدي
سالم المشاط



صورة ٧ : المدخل الرئيسي لجامع شائب
العين وأعلى اللوحة التأسيسية



صورة ٨ : البلاطات علي الجدار الشمالي الغربي بيت الصلاة بجامع شائب العين



صورة ٩ : مئذنة جامع شائب العين



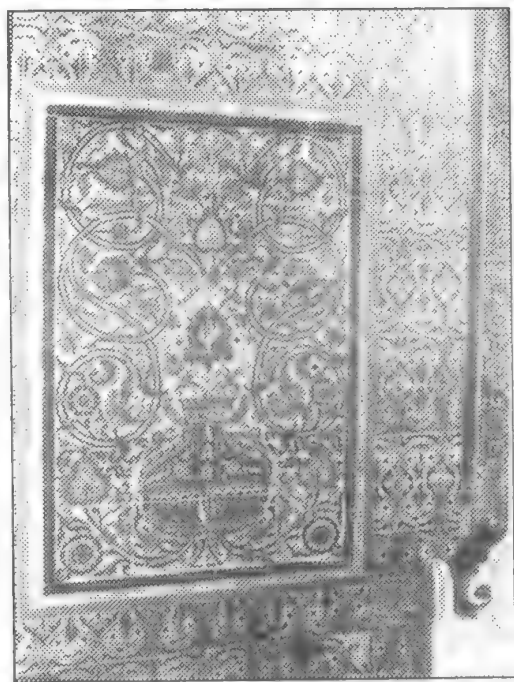
صورة ١٠ : منظر عام لجامع خليل باشا



صورة ١١ : منذنة جامع خليل باشا



صورة ١٢ : صورة جوية لجامع أحمد باشا القرماني



صورة ١٣ : نموذج للتكسية بالبلاطات
الخرفية في جامع أحمد باشا

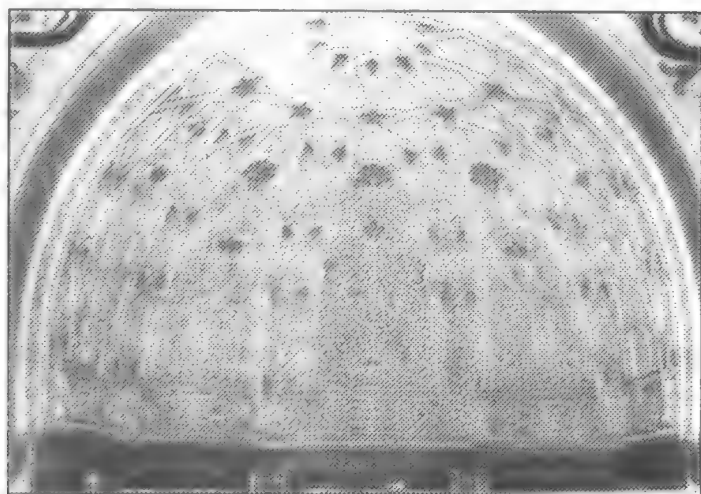


صورة ١٤ : محراب جامع أحمد باشا





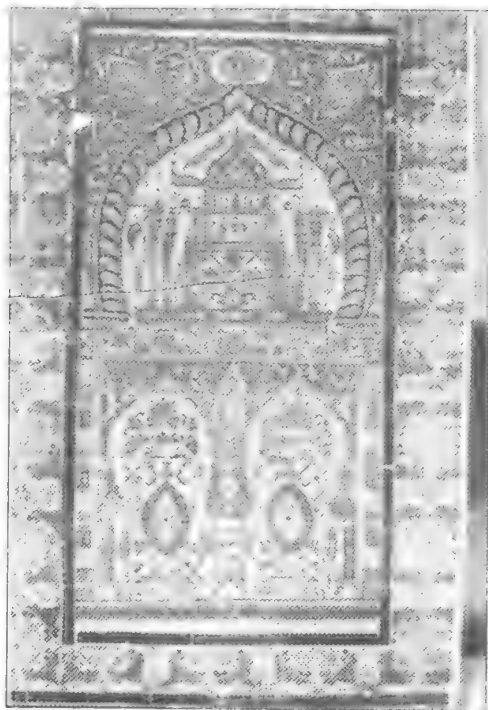
صورة ١٦ : الاضرحة بجامع أحمد باشا



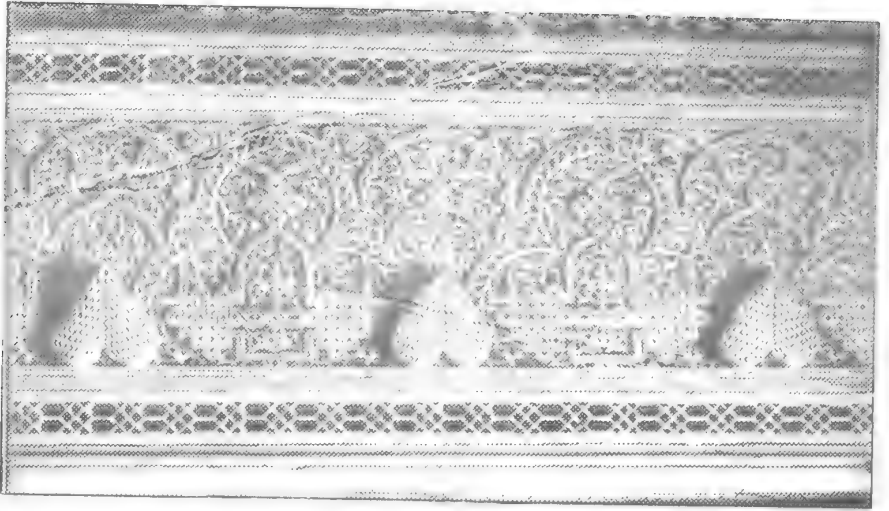
صورة ١٧ : الزخارف الجصية بمحراب قورجي



صورة ١٨ : المئذنة بجامع قورجي



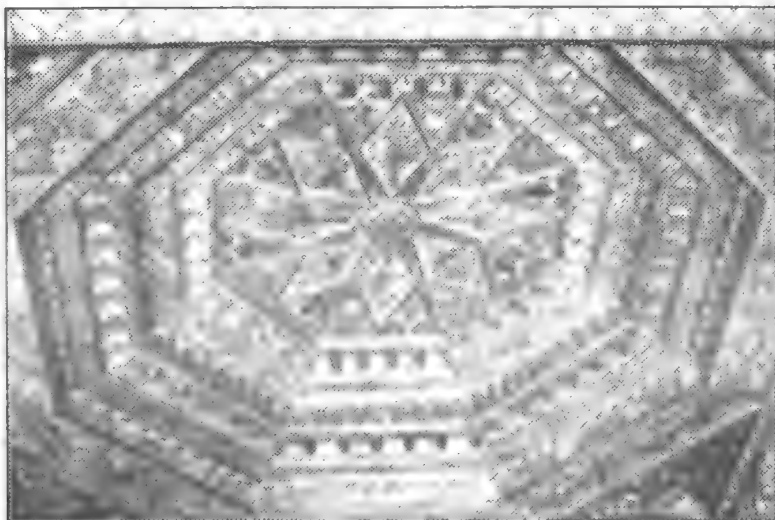
صورة ١٩ : نموذج للتصميمات الزخرفية
بالبلاطات الخزفية في جامع قورجي



صورة ٢٠ : نموذج للتشكيلات الزخرفية الجصية بجامع قورجي



صورة ٢١ : مدخل بيت الصلاة
بجامع قورجي



صورة ٢٢ : الزخارف المنقذة بالطلاء علي سقف السدة الخشبية بجامع قورجي



صورة ٢٣ : مسجد ومئذنة بن سليمان

صورة ٢٤ : المدخل واللوحة
التأسيسية بمدرسة عثمان باشا



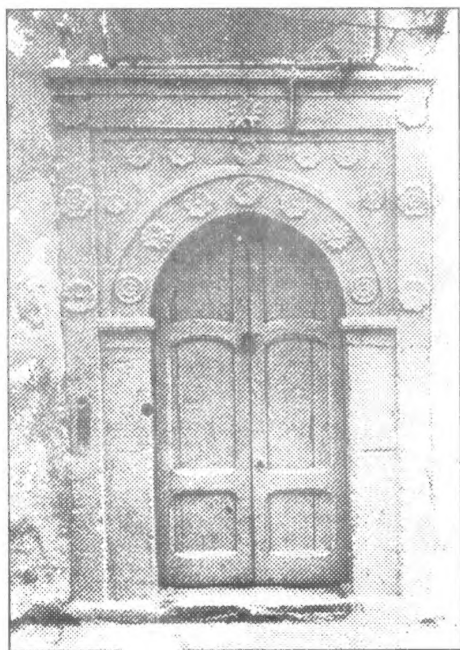
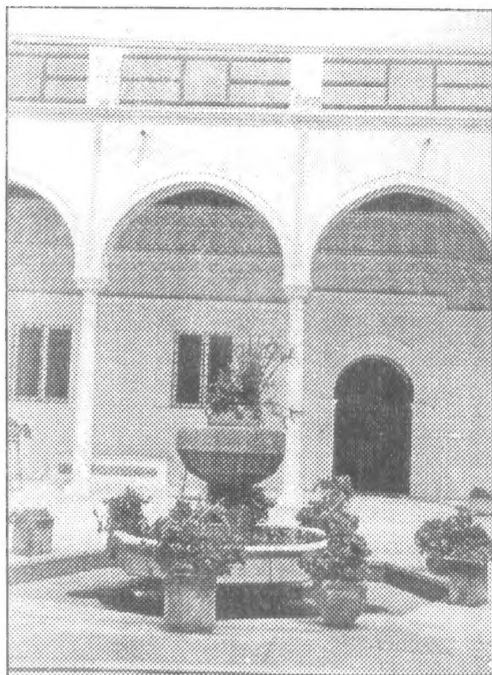
صورة ٢٥ : الرواق وخلوي الطلبة بمدرسة عثمان باشا

صورة ٢٦ : قبة الدراكة وقبة المسجد
بمدرسة عثمان باشا



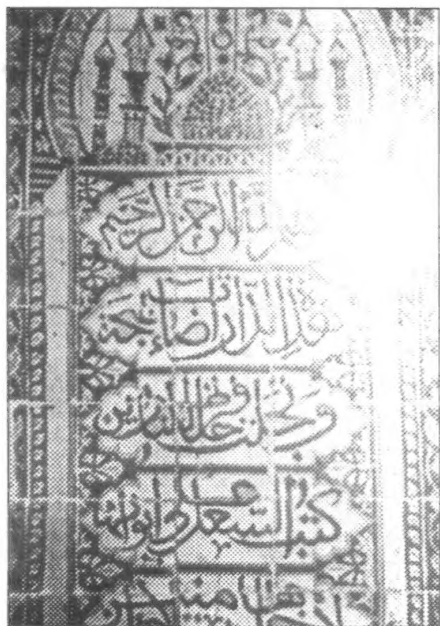
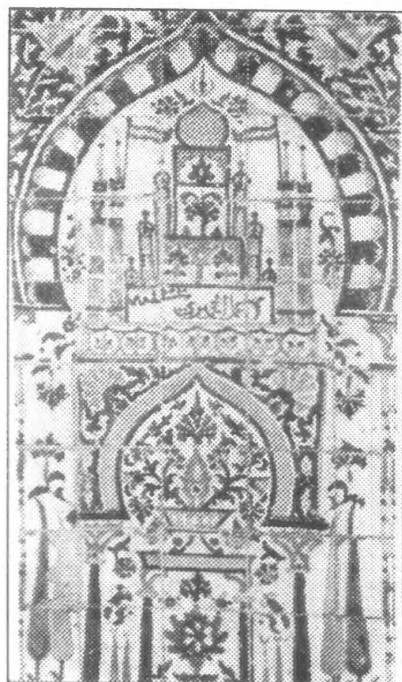
صورة ٢٧ : قبة المسجد وقبة الضريح بمدرسة عثمان باشا

صورة ٢٨ : الفناء والرواق والحجرات
في فيلا «فولبي»



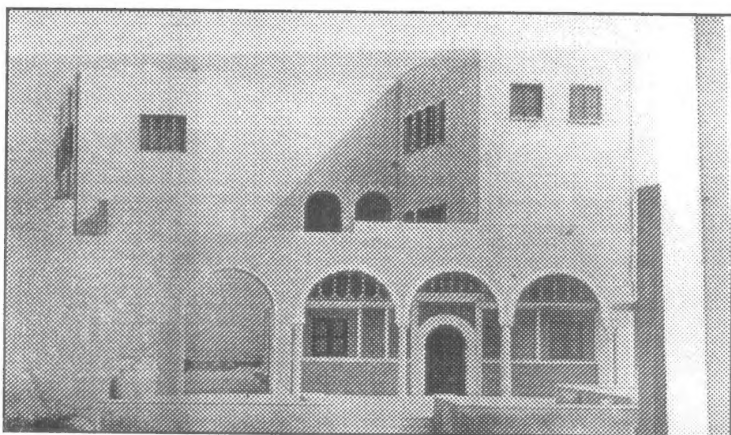
صورة ٢٩ : أحد المداخل بمنزل قديم
بـطرابلس

صورة ٣٠ : تشكيل زغرفي بالبلاطات الخزفية
في منزل طرابلسي



صورة ٣١ : الزخارف والكتابات علي البلاطات
في واجهات منازل طرابلس القديمة

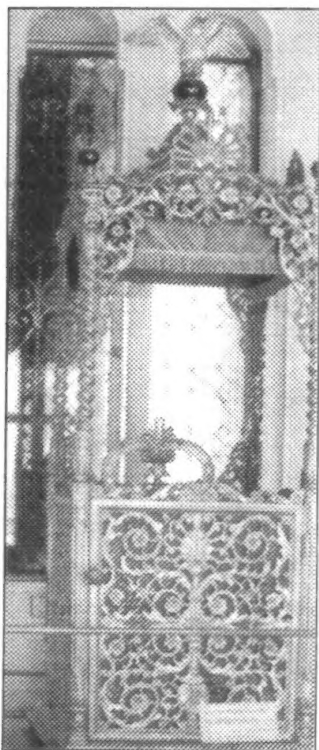
صورة ٣٢ : الرواق والشفرة في فندق
زميت بطرابلس



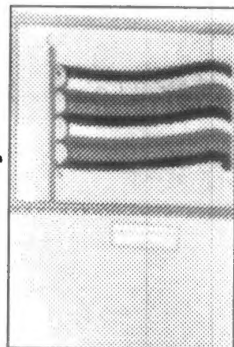
صورة ٣٣ : الجزء القرماني في قلعة طرابلس



صورة ٣٤ : صورة قديمة لمبنى قلعة طرابلس



صورة ٣٦ : كرسي العرش الخاص
بيوسف باشا القرماني



صورة ٣٥ : أحد أعلام
طرابلس في العصر القرماني